صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس

العدد العاشر
من
السنة الخامسة



اكتوبر ١٩٣٦

سير الحوادث

يعم الاغتباط جميع المفكرين في الأمة للمعاهدة التي وقعت بيننا وبين الانجليز . وذلك لانهم يجدون فيها الضمان المؤكد لحماية البلاد من غارة ايطالية متوقعة في هذه السنين المضطربة كما يرون فيها بداية عصر جديد نستطيع أن نرصد فيه وقتنا وجهودنا لاصلاحاتنا الداخلية التي تخلفنا فيها عن سائر الامم في العالم لاشتغالنا بمكافحة الانجليز لتحقيق الاستقلال

ولكن وسط هذا الاغتباط نجد فريقا منشقا على اجماع الامة يريد معارضة المعاهدة وهذا الفريق يسعى لجمع خصوم الوفد في هيئة واحدة . وعند التأمل في أشخاص هؤلاء المعارضين وأغراضهم نجد أن المقصود ليس معارضة المعاهدة بل معارضة الوفديين اظهارهم أمام الأمة بمظهر الخونة لانهم عقدوا المعاهدة . وقد كانوا في نظر هؤلاء المعارضين خونة أيضا عندما كانوا يرفضون توقيع المعاهدات المقترحة السابقة

والنية المبيتة هي اسقاط الوفديين من كراسي الحكم ثم الغاء البرلمان و « تنقيح » الدستور حتى لاينتخب وفدي . أو تحكم البلاد بلا برلمان . ثم يشرع هؤلاء المستبدون في احالة القطر كله الى عزبة تستغل لمصالحهم الشخصية وتعود الامة كلها عبيدا قانعة بالجلابيب الزرقاء كما كان يقول رءوس المستبدين قبل خمس سنوات . وقد أثبت هؤلاء المستبدون طيشهم ورعونتهم في تجاربهم الاستبدادية الماضية حتى أوشكوا أن يحرجوا بريطانيا في العام الماضي الى عمل حاسم لتنحيتهم عن الحكم نهائيا . ولا يبعد أن يبعثوا فتنة في البلاد تؤدي الى اراقة الدماء . ولذلك نعتقد أن من مصلحة الدولة قمع هذه المعارضة وهي بعد في المهد . ولا فائدة من الاستقلال في ظل الاستبداد ولا قيمة للاستقلال اذا كان امثال زكي الابراشي أو اسمعيل صدقي سيحكمون مصر بلا برلمان

غلاء الجنيه المصرى

انزلت حكومة فرنسا قيمة الفرنك فصار يساوى قرشا مصريا بعد أن كان يساوى نحو قرش ونصف . وأغلب الظن أن هذا الخفض سيعقبه خفض آخر فى جميع نقود العالم . وقد اقترحت علاجات مختلفة للازمة . ولكن خفض النقد هو العلاج الوحيد الذى لجأت اليه معظم الامم ووجدت فيه الفائدة . وذلك لأنه يخفف اعباء الديون ويدفع بالتجارة والصناعة الى النشاط فيقل العطل ويزول الكساد أو يكاد

ولسنا نقول أن خفض النقد هو ترياق لكل داء فى النظام الاقتصادي ولكنه علاج سريع الفعل ولهذا السبب يجب أن نفكر فيه بجد وخاصة لأن الأزمة التى تقاسيها مصر وخاصة أزمة المزارعين المدينين لاتزال جائمة . وفى حين تنقشع عن الاقطار الاخرى تبدو فى مصر وكأنها تزداد قوة . وقد اقترحت اللجنة البرلمانية التى كلفت بحث الطرق لمعالجة الديون العقارية خفض الجنيه المصرى الى نصف قيمته . ويؤسفنا أن هذا الاقتراح لم يجد التنويه الذى يستحقه فى الصحف . فاننا نرى فيه العلاج الوحيد للازمة الحاضرة فى بلادنا . وهو لايقتصر فعله على انقاذ المدينين بل انه يشجع حركة الصادرات ويفسح ميادين العمل للعاطلين وينشط التجارة والصناعة . وأما مايخشى منه من الغلاء فان ضرره من هذه الناحية اقل جدا من المنفعة التى تجنيها فى شئون أخرى

ونستطيع أن نقف الخفض عن التهور بابقاء ارتباط الجنيه المصرى بالجنيه الاسترليني بعد خفضه الى النصف . بل أن مشروعاتنا الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والتعليمية والصحية تحتاج الى هذا الخفض . وعندنا من رصيد الذهب مايجعل ثروة الحكومة منه تتضاعف بمجرد اعلان الخفض

ونحن نرجو الحكومة أن تفكر بجد فى هذا الموضوع

الثورة الاسبانية

كان الشهر الماضى داميا فى اسبانيا · فان الثائرين الذين يقودهم الجنرال فرانكو والحكوميين الذين يقودهم كاباليرو رئيس الوزارة الاسبانية يتناحرون . والحرب بينهما هى قتال وحشى عنيف لا رحمة فيه لأسير أو ضعيف . وتروى حوادث عن التعذيب والتخريب لاتصدق لفظاعتها وشناعتها . ولكن ارجح الظن أنها صادقة . فان فريق الثائرين الفاشيين الذين يقودهم فرانكو

وفريق الحكوميين والشيوعيين والفوضويين والاشتراكيين الذين يقودهم كاباليرو لا يبالون ببيع الوطن فى سبيل النصر . وكل منهم يشعر أنه يدافع عن مبدأ كأنه عقيدة دينية يجوز فيها بيع الوطن نفسه

وقد حاولت فرنسا ايجاد اتفاق بين الدول للحياد حتى لا تشتبك أوربا كلها فى حرب بين الفاشية والشيوعية . وقد نجحت الى حد ما ولو فى الظاهر والشكل . ولهذين قيمتهما فى حصر الثورة الاسبانية داخل اسبانيا . ولكن الواقع أن الذخائر والاسلحة ترسل الى كل من الفريقين المتحاربين . وحكومة برتغال لا تبالى حتى الشكل فى الحياد وهى تؤيد بكل قوتها فريق الثائرين

وطوالع الحال الى الآن تدل على أن الثائرين سيفوزون . وهم اذا استولوا على مدريد أصبح الاعتراف بحكومتهم مرجحا

ثورة فلسطين

لا تزال ثورة فلسطين قائمة لا تهدأ . وقد توسط الوزير العراقى نوري السعيد باشا بين الانجليز والعرب ولكنه لم يفلح . وأعلنت الحكومة البريطانية انها تنوى أن تزيد صرامة القمع وزادتها بالفعل . بل بعض الصحف البريطانية تبحث عن التقسيم الاقليمى لفلسطين بحيث يصبح لليهود حكومة مستقلة عن حكومة العرب . ولما ابدت عصبة الامم استياءها من حوادث فلسطين أجاب المستر أيدن بانه لا يستطيع



كاباليرو رئيس الوزارة الاسبانية

الاجابة الا بعد أن يقرأ تقرير اللجنة الملوكية التى انتدبت لدرس الحالة . وأن هذه اللجنة لا يمكنها أن تدرس الحالة الا بعد أن تهدأ البلاد . وقد أعلنت الاحكام العرفية

وليس فى سير الحوادث ما يشجع على الظن بأنها فى مصلحة العرب

مؤتمر نورمبورج

عقد الوطنيون الاشتراكيون فى المانيا مؤتمرا دل على جملة أشياء . أولها أن المانيا تعلن العداء للشيوعية ويكاد يقول زعماؤها انها تأخذ على عاتقها حماية أوربا من الشيوعية . وقد كانت بعض الخطب تشبه اعلان الحرب على روسيا . والثانى أن الالمان قد نجحوا أو كادوا فى ايجاد مواد خامة تقوم مقام القطن والبترول والكوتشوك وغيرها . وهذا النجاح هو ثمرة التجارب التى احرجوا عليها بعد حرمانهم من المستعمرات ومع قلة الذهب لديهم . والثالث أن جميع الالمان أصبحوا فاشيين راضين عن حكم هتلر بل مغتبطين به . فان الحماسة التى قوبل بها زعماء الوطنية الاشتراكية فى نورمبورج حيث عقد المؤتمر تفوق الوصف


الدكتور امبيدكار

المنبوذون

آخر ما يقال عن الدكتور امبيدكار زعيم المنبوذين انه يرفض المسيحية والاسلام لطائفته ويطلب اعتناقهم لديانة السيخ . وذلك لأنه يخشى من المسيحية زيادة نفوذ الانجليز . ويخشى من الاسلام زيادة نفوذ المسلمين . وهو لا يزال هندوكيا فى قلبه وان لم يكن فى عقله . وقد اهتدى اخيرا الى ديانة السيخ وهم قوم ينتمون فى العرف الى الديانة الهندوكية ولكنهم لا يعرفون النجاسة ويساوون بين أنفسهم وبين المنبوذين وهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر ولا يعرفون حجاب المرأة ولا يحجون . ويبلغون نحو ثلاثة ملايين وربع معظمهم فى بنجابه . وهم يحترمون البقر بلا تقديس ويؤمنون بإله واحد . وقد نشأت السيخية فى القرن السادس عشر

الادب والحياة

بعض هؤلاء الأجداد الأجلاء يتركون رسالتهم فى ألفاظ تشيع فيها الانوار والظلال والحركات والسكنات والآمال والآلام وكل ما كان يكتنفهم فى أثناء حياتهم وهذه الرسالة انما تحدث هؤلاء الأبناء حديثا قويا خالداً لا ينقطع .

هذه الرسالة هى « الأدب » وقد تكون شعرية أو نثرية وهى مهمة شاقة لا يقوم بأدائها إلا أفراد قلائل ممن أوتوا الالهام وهبط عليهم وحى خاص . وانك لتقرأ هذا الحديث الحالك هذا الحديث الذي ترويه القرون وكأن كل لفظ فيه « مخزن الكنوز » أو « قارورة العجائب » . ففى « مخزن الكنوز » قد يجد الانسان كثيراً من اللآلىء النفيسة الجذابة الجميلة — يجد عقوداً من الفريد وعناقيد من الجوهر وحبات من الزمرد والعقيق وتهاويل من الحلى والصور إلى غير ذلك . وفى « قارورة العجائب » تبهر العين ألوان الطيف السحرية والآفاق الخيالية والأقواس القزحية والموشورات التى تفسح أمام الخيال دنيا يضل فيها الخيال

لكن كل هذه الكنوز والعجائب تعيش متفرقة متباينة فاللآلىء تتباعد عن حبات الزمرد والألوان لا تكاد تندمج مع بعضها لأنه لا يوجد بينها صلة أو آصرة تربطها جميعاً . وانك حين تقرأ تاريخ هذه العجائب لا تجد ما يفيدك عن الرجل الذى جمعها أو ضمها جميعاً لأول مرة ولا تجد ما يدلك على منشئها

ولكن الأدب على العكس من ذلك هو صورة من نفس صاحبه أو ليس الاسلوب هو الرجل ؟ ان الفكر كالبحر والحياة هى الشاطىء الذى يلقى اليه بما فيه من لآلىء وأصداف وأشلاء وأحياء وما تحويه جعبته العظيمة من عجائب

وهذه مهمة شاقة تكفل بها هؤلاء الآباء فلقد نقلوا الينا حضارات الماضى كله وترجموا لنا حياتهم ولم يقتصر بعض منهم على أن يكون الارث الذى يخلفه للأبناء ارثاً قديماً وانما سعى إلى المستقبل ففتح معالم تشق على الطيف وراد أقطارا تقصى الخيال أن يتقصاها

فالاديب هو نبي الانسانية الذي يترجم عن آمالها وآلامها ، عن حفائقها وعن أحلامها وهو الذى يكشف الجمال أمام أعينها إذا عز الجمال ، ويخلق من البلقع الجدب جنة فيحاء . هو الذى يسعى إلى تحقيق المثل الأعلى فى الحياة بعد هدم الفاسد من النظم والاوضاع وادماج الطبقات بعضها ببعض ادماجا تاما حتى تتحقق مبادىء الحرية والعدل والمساواة بينها

الهمشري

الاصل الهندي لكتاب الف ليلة وليلة

عن دائرة المعارف الاسلامية

نستطيع أن نقرر فى كثير من الثقة أن نواة كتاب ألف ليلة وليلة مأخوذة عن كتاب قصص فارسي يعرف بكتاب « هزار أفسانة » نقل إلى العربية فى القرن الثالث الهجري وان غالب هذه القصص من أصل هندي . ووجوه الشبه التى نجدها بين كتب هندية وفارسية لاشك فى أنها أقدم من الأصل العربى ، وبين نواة الف ليلة وليلة تمدنا بمقاييس نستطيع أن نميز بها قصص هذه الطبقة القديمة ، وهـذا التشابه صنفان ، فهو طوراً يكون صورة مطابقة للنص العربى . وطوراً ينحصر فى ملامح متفرقة من السهل تمييزها ، وكلما كانت هذه الملامح بارزة واشتد اتصالها ببناء القصة وموضوعها زادت قيمة فى نظرنا

ولدينا إلى جانب هذا مقاييس خارجية محضة كذكر الأسماء والنظم الفارسية القديمة . وقدحاول لين الدفاع عن النظرية القائلة بالأصل العربى لكتاب الف ليلة وليلة فبالغ فى تقدير هذه المقاييس الخارجية بمقدار ماوجد فيها من تأييد لنظريته . ومن الأيسر علينا أن نعلل كيف ان قصاصا أو نساخا عربيا وضع أسماء وإشارات عربية تتلاءم والأحوال العربيـة المعاصرة له من أن نتفهم علة ورود الأسماء الفارسية القديمة ، اللهم إلا اذا فرضنا أن هذه الاسماء عبارة عن بقايا مرحلة قديمة من مراحل التطور ، ولذلك فان المقاييس الخارجية التى تتصل بالهند وفارس تعتبر أهم نسبيا من غيرها . فقصاص العرب كانوا يعرفون كيف يطبعون القصة الأجنبية بالطابع المحلى، وكيف يوفقون بينها وبين مايحيط بهم ، غير أنه كانت تعوزهم الحاسة الفنية الرفيعة التى تمكنهم من أن يصبغوا الشىء الوطنى بالصبغة الأجنبية ويكسبوه جو بلاد غير بلادهم

وفى القصة الأولى التى تتكون منها نواة الكتاب نلمس كلا من المقياسين اللذين يثبتان وجود الأصل الأجنبى فيه ، فاسما شاه زمان وشهريار وغيرهما أسماء فارسية ، كما أن خيانة زوجى الأميرين الأخوين التى انتهت برحلة أحدهما تشبه القصة الهندية « كاساثارت ساجارا »

وكذلك القصص الصغيرة الثلاث التى وردت عرضا فى نواة الكتاب ، والتى تتحدث عن التجار الذين يفهمون لغة البهائم والوحوش لها نظائر فى الأدب الهندى . والتشابه الملحوظ بين الطريقة التى تدمج بها بعض القصص فى بعض فى الف ليلة وليلة وبين الطريقة التى تنتهجها الكتب الهندية

له أهمية خاصة ، فان ادماج قصة فى قصة من خصائص الأدب الهندي ، وهو أمر مشاهد فى « المهابهاراته » وال « ينجه تنتره » و « وتله بجه ومساتى » وغيرها ، ولا يحفل الهنود بما فى هذه الطريقة من بعد عن الواقع ومنافاة لطبيعة الأشياء . فانهم يظهرون من حين الى حين أشخاصا يتكلمون أو يستمعون فى حين أن طبيعة موقفهم من القصة تتنافى مع هذا

والباعث الأول لكتاب الف ليلة وليلة هو اكتساب الوقت وثنى المتهور عن عزمه . وهذا موجود أيضا فى قصة الوزراء السبعة الهندية الأصل ، ونلحظ هذا بصورة أخرى فى القصة الهندية « سوكاسابتاتى » ففيها تحول البغاء الأريبة بين زوجة صاحبها وبين زيارة خليلها فى غيبة زوجها بأن تشغلها فى البيت بجزء من قصة تسرده عليها كل يوم وتختمه دائما بقولها « سأقص البقية غداً اذا بقيت فى البيت الليلة » ، وهكذا لاتستطيع الزوجة تنفيذ مأربها حتى يعود زوجها

وهذه الطريقة فى تكوين هيكل القصص شائعة فى الهند نادرة فى غيرها . ولسنا نعرف بين المصنفات القديمة كتابا واحدا اتبع فيه هذا النهج الا كتاب أوفيد ويمكن اتخاذ هذا النهج مقياساً نبين به الأصل الهندى لأجزاء خاصة من الف ليلة وليلة . وليس الأمر مقصوراً على ذلك بل انه يتعداه إلى الأسلوب ، فمن لوازم الكتب الهندية الشعبية قولها « لاتفعل ذلك وإلا أصابك ما أصاب فلانا » فيسأل السامع « وكيف ذلك ؟ » فيجيب القاص برواية القصه ، وهذا الأسلوب نفسه مستعمل فى الف ليلة وليلة ، وقولهم « وكيف ذلك ؟ » فى بداية القصة ترجمة حرفية للعبارة السنسكريتية « كاثام إتات » ، ونحن نميل إلى افتراض أن هذه العبارة بالذات موجودة فى هزار إفسانه كما توجد أيضا فى الاصل الهندي الذي أخذ عنه هذا الكتاب

فالقصص التى فى أوائل جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة من كتاب الف ليلة وليلة كقصص التاجر مع العفريت ، والبنات مع الحمال والصعاليك الثلاثة ، والاحدب كلها شاهدة على الطريقة التى قام عليها هيكل الكتاب ، لان فيها السمات التى تذكرنا بالقصص الهندية القديمة ، ومن تلك السمات الحيلة التى لجأ اليها الصياد فى إعادة العفريت إلى القمقم بعد أن كان قد أطلق سراحه ، فهى مشابهة للترجمة المغولية لقصة « سمهة سندفترمساتى » أي قصة « ارجى برجى خان » ومشابهة لقصة أهل الجنوب المعروفة بـ « بنجه تنتره »

ومن السمات التى تذكرنا بالقصص الهندية أيضا الصراع بين الثعبان الابيض والثعبان الاسود وكلاهما عفريت ، فاننا نجد له شبها فى قصص التتار التى من أصل هندى ، وليست من أصل إسلامى كما ذهب إلى ذلك ناشرها بافيه ده كورتاي . وكذلك الصراع بين العفريت والاميرة الساحرة ، إذ أن له شبها قويا بالترجمة المغولية لقصة « وتله بنجه ومساتى » ومنها أيضا قصة الملك والحكيم دوبان

وكيف قتل هذا الحكيم الملك بكتاب دهنت أوراقه بالسم ، فتلك عادة شائعة بين الهنود وهناك من جهة أخري تشابه فى الملامح بين الكثير من الحكايات الاولى من كتاب الف ليلة وليلة يجعلنا لانسلم بسهولة بأن هذه الحكايات كانت فى الاصل متفرقة على الصورة التى وصلت الينا ، بل من المحتمل أن تكون كل حكاية من هذه الحكايات المأخوذة من هزاز أفسانه قد أصابها تغيير كبير فيما بعد

والحكايات الاخرى التى لاشك فى أصلها الهندى الفارسى هى . —

١ — حكاية الحصان المسحور ، فقد وردت بها أسماء فارسية مثل سابور ، واعياد فارسية مثل النيروز والمهرجان . ويمكننا أن نرد الفكرة التى تقوم عليها هذه الحكاية الى قصة « بنجه تنتره »

٢ — حكاية حسن البصرى، وقد ورد فى ترجمة هابشت وهاجن اسم بطل هذه الحكاية «عاصم الصباغ » بدلا من حسن الصائغ وربما كان هذا ناشئا عن التباس بين الصائغ والصباغ

وأهم مافى هذه القصة سرقة الريش ، والحيلة التى تغلب بها بطل القصة على الرجال الذين كانوا يتنازعون الميراث وتوسل بها الى استرجاع محبوبته الهاربة . وهاتان الظاهرتان من أصل هندى ثم ذاعتا بعد ذلك فى الشرق

وصدر قصة حسن البصرى والجزء الأخير منها يتردد ثانية فى كتاب الف ليلة وليلة فى حكاية جان شاه المتداخلة فى حكاية حاسب كريم الدين وملكة الحيات ، وهى حكاية ربما امتزج أصلها بعناصر يهودية . أما حكاية جان شاه فقد كتبت على نسق قصة أقدم منها ولكنها ضعيفة من الناحية الفنية . ومن الغريب أن قصة حاسب كريم الدين نسبها الى هزاز أفسانه أحد الكتاب فى مقال نشره بمجلة أدنبره فى حين أنه ينكر انكارا تاما أن ألف ليلة وليلة له أصل فارسى

واذا ضربنا صفحا عن المقاييس الفنية البحتة فانا نستطيع أن نقول فى ثقة إن هذه الحكاية بما فيها من تهويل سخيف وتكرار ممجوج لم تقتبس من نفس المصدر الذى أخذت منه الحكايات المحبوكة الجيدة السبك مثل حكاية الحصان الأبنوس وحسن البصري وغيرهما

٣ — وحكاية سيف الملوك هى الحكاية الوحيدة فى كتاب الف ليلة وليلة التى نجد فى الفارسية حكاية كاملة تقابلها تمام المقابلة . وقد ذكر لين المخطوطات الفارسية التى توجد فيها هذه الحكاية

٤ — حكاية قمر الزمان والأميرة بدور

٥ حكاية الأمير بدر والأميرة جوهر السمندلية

٦ — حكاية أردشير وحياة النفوس . ونجد هذه الحكاية أيضا بشكل آخر فى مخطوطات الف ليلة وليلة . نجدها فى حكاية عمر بن النعمان . وبالرغم مما قرره سيبولد فانى أرى أنها إضافة متأخرة إلى نواة كتاب الف ليلة وليلة ونجد هذه الحكاية أيضا فى حكاية تاج الملوك والأميرة دنيا التى تقابل حكاية أردشير وحياة النفوس مقابلة تكاد تكون حرفية

وعلى هذا فان هذه القصص التى أخذت من كتاب هزار أفسانه هى التى تكونت منها نواة كتاب الف ليلة وليلة ثم تجمعت حول هذه النواة فى أراض عربيه طبقات مختلفة من الحكايات

وأول طبقة من هذه الطبقات بغدادية يتردد فيها اسم هرون الرشيد . وبعض حكايات هذه الطبقة من وحى الخيال ، والبعض الآخر عبارة عن حوادث تاريخية زيد فيها وأعيدت صياغتها مثل حكاية أبى الحسن أو النائم اليقظان التى نجد أصلها التاريخى فيما رواه الاسحاقى وكذلك نجد ان كثيراً من الحكايات التى ذاعت عن أبى نواس وأبى دلامة قد أصبحت من الروايات الادبية

ويجب ألا ننسى أن اسم الرشيد كان قد أصبح منذ وقت قديم رمزاً للعصر الذهبى الغابر تفعل فيه الأعاجيب وتحاك حوله الأساطير . وعلى هذا فمن الخطأ أن نكتفى بورود اسمه فى حكاية من الحكايات فننسبها إلى هذه الطبقة . وفى مثل هذه الحالة يجب أن يكون اعتمادنا على المقاييس الداخلية

واذا صرفنا النظر عن كثير من التفصيلات التى لابد أن يعتورها الشك فانا نستطيع أن نقول بصفة عامة إن الاقاصيص المهينة الجيدة السبك التى تمثل حياة الطبقة الوسطى وتقوم على مشكلة من مشكلات الحب ويكون حلها على يد الخليفة هى من الطبقة البغدادية ، أما حكايات الصعاليك وحكايات الجن وهذه فى الغالب ضعيفة الاسلوب ، فهى من طبقة مصرية متأخرة

ومما يجدر ذكره أن الجن فى الحكايات الهندية والفارسية القديمة يفعلون مايفعلون من تلقاء أنفسهم ، أما الجن فى القصص المتأخرة فيخضعون دائما لطلسم ما . وعلى هذا فان صاحب الطلسم هو الذي يسيطر على مجرى الامور دون الجن والعفاريت

أما الحكايات البغدادية فليس للسحر دخل فيها . وقد بين نولدكه أن حكايات الصعاليك فيها عنصر مصرى خالص . وأقدم مثل على هذا النوع هو القصة المشهورة التى رواها هيرودوتس عن كنز الملك رامبسينيت . فانا نجد شبها طريفاً لجزء من هذه القصة فيما حكاه المقدمون الثمانية للسلطان بيبرس فى كتاب الف ليلة وليلة

ونحن نرجح ماحاول أن يثبته شوفان من أن الجزء الاخير من الطبقة المصرية بما فيه من حكايات مبتذلة عن السحر من وضع يهودى . وحكايات هذه الطبقة المتأخرة هى أضعف ما فى الكتاب من الوجهة الفنية

وفوق هذه الطبقات الاربع التى سبق أن بينا أنه لايمكن تمييز بعضها عن بعض بالدقة ، اشتمل كتاب الف ليلة وليلة على عدد من القصص الكبيرة والاقاصيص الصغيرة . وهذه القصص الكبيرة ترد كل واحدة منها فى نسخة دون الاخرى . ويظهر أنها أضيفت الى الكتاب لالشىء إلا ليبلغ عدد الليالى التى دل عليها اسمه . من هذه الحكايات حكاية الوزراء السبعة وهى من أصل هندى مستقل والحكايات التى نسجت على منوالها ، مثل حكاية الوزراء العشرة وحكاية الوزراء الاربعين وحكاية جليعاد وشماس

أما نسبة حكايات السندباد البحري الى كتاب الف ليلة وليلة فمحل بحث . ويظهر أنها وضعت فى عهد بلغت فيه بغداد والبصرة غاية ماوصلتا اليه من إزدهار . وربما كانت هذه الحكايات فى الاصل كتاباً قائماً بذاته

ومن الحقائق المعروفة أن هناك بعض الحكايات المصرية القديمة والحكايات اليونانية التى تشابه حكاية السندباد فى مادتها

وهناك حكايات لم تكن فى أصل كتاب الف ليلة وليلة مثل الحكاية الطويلة التى تتحدث عن فروسية عمر بن النعمان وولديه ، وحكاية شول وشمول وحكايتين تعليميتين تختلف كل واحدة منهما عن الاخرى اختلافا بينا وهما حكاية الحكيم هيكر ، وهى يهودية الاصل ، وحكاية الجارية تودد التى أصبحت فيما بعد كتابا يقبل الشباب فى أسبانيا على قراءته واسمه La Donzella Teodor Tudur وتيودور أو تدور تصحيف لكلمة تودد ، من السهل إيضاحه بوساطة فن الكتابات القديمة

والاضافات الاخيرة التى أضيفت إلى هذا الكتاب الضخم حدثت فى مصر . وربما كان ذلك فى أواخر عهد المماليك ، ولعلها وضعت فى القاهرة لكثرة ورود أسماء صحيحة لاماكن فيها . وهذا الرأي يمكن استنتاجه أيضا من لغة هذا الجزء . فهى تشبه اللغة العربية فى عصورها المتأخرة وتقرب فى كثير من الوجوه من اللغة المصرية الدارجة

على أن واضعى هذا الجزء لم يوفقوا تماما فى محو الفروق الاصلية البارزة بين أسلوب الجزء الاصلى وأسلوب ما أضافوه اليه . وكذلك تختلف النسخ المختلفة اختلافا بينا فى هذا الصدد . وقد حاول شوفان أن يعين على وجه التدقيق شخصية الرجل الذى وضع الطبقتين المصريتين وهو يرى أنه يهودي دان بالاسلام . ولكنا نرى أن عدد الكتاب والقصاص الذين اشتركوا فى تكييف

الف ليلة وليلة فى عصور متعاقبة كانوا من الكثرة بحيث أن الكشف عن عمل كل مؤلف منهم على حدة أصبح من الأمور المعقدة التى لايجرؤ كاتب على التعرض لحلها

وقد جاء فى الفقرة التى ذكرها المسعودى أن الكتاب الفارسى هزار أفسانه الذى ترجم إلى العربية ترجمة حرفية معناه الف خرافة وأنه سمى بدل ذلك الف ليلة . أما اسم الف ليلة وليلة الذى أطلق أخيرا على الكتاب فيرجع إلى أن العرب كغيرهم من الشرقيين بصفة عامة يتطيرون من الأعداد الزوجية كما سبق أن بين ذلك جلد ميستر . وربما كان لميلهم المألوف إلى نوع من التسجيع فى تسمية الكتب دخل أيضا فى تغيير اسم الكتاب . ولكن ، كما أن الكتاب الفارسى هزار أفسانه لم يشتمل بالدقة على الف خرافة ، وهذه التسمية العددية إنما قصد بها عدد كبير من الحكايات التى وردت فى كتاب الف ليلة وليلة لم تكن فى الأصل مقسمة إلى الف ليلة وليلة وإنما وضع هذا التقسيم فى العصور المتأخرة . وهذا يبدو جليا من اختلاف النسخ فى هذا الموضوع اختلافا كبيرا . ولقد كانت الرغبة فى إكمال عدد الليالى فى الكتاب هى الباعث الى الزيادات الكثيرة التى أدخلت عليه . أضف إلى هذا أن شهرة اسم كتاب الف ليلة وليلة جعلت النساخ يميلون الى أن يضيفوا إلى ما اشتملت عليه المخطوطات كل ماهو دخيل وعجيب . وأحسن مثل على هذا مخطوطات باريس رقم ١٧٢٨



كفاح

لذة العيش فى جهاد عنيف ... منه راجى الحياة لا يستاء !

لذة العيش فى أمان كبار ... كلما خابت جد فيها الرجاء !

لذة العيش فى غرام جموح ... عاصف بالكيان ، فيه جفاء !

لذة العيش أن تكون قوياً ... رجلا فيه للرجولة ماء !

يصرع الدهر لا تكلّ قواه ... يمنع العين أن يسيل البكاء

طامحاً لا يني لأحداث دهر ... عاصفات ، ولا يقول « قضاه ! »

لذة العيش أن تحس بعمنا ... ه صحيحاً ، لا أستبيك الرخاء

إن عيشاً مزيفاً هو عيش ... لين خفض ما به أنواء

أنا عيشى ياصاح عيش رجال ... حلوه مره هناء شقاء

لا تظنن انى عنه راض ... لست أرضى به ولا أستاء

لم أنل فيه كل غايات نفسى ... ليس للمجد غاية وانتهاء

كلما نلت مطلباً جد ثان ... سرت فيه وما اعترانى انثناء

بله انى مكافح دون يأس ... ذل من فى الكفاح ألقوا وناءوا

أنا مصرى ناشىء مستميت ... فى المعالى ، فليس دوني علاء

وأرى المجد فى السماء فما تبـ ... ـعد عن همتى وعنى السماء

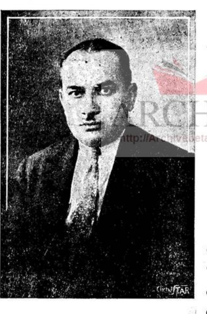
صاح لا تشتك الزمان ، وجاهد ... ليس فى صرعك الزمان عناء

يا ابن بانى الاهرام ترب خلود ... يا ابن فرعون ما عليه عفاء

بنتاءور الصغير

المعرفة والصداقة الاممية

يحدثنا جايز في كتابه الممتع « ست سنوات في بوليفيا » عن دكتاتور من الاهلين اشتهرت سيرته في تاريخ جمهورية بوليفيا (في أمريكا الجنوبية) وكان يدعى «ماجاريجو» اذ لم يكن هذا الزنجي الاصل غير ضابط صغير في الجيش ، فاستطاع بمتانة أخلاقه أن يبلغ في النهاية منزلة الحاكم بأمره في بوليفيا . وفي أثناء حكمه سنة ١٨٧٠ م . سمع عن نشوب الحرب بين فرنسا وألمانيا واستقر رأيه على أن فرنسا المعتدى عليها يجب أن تؤازر . ولكنه مع الاسف كان قاصرا في معارفه وثقافته الى درجة جهله بكيفية بلوغ فرنسا لنجدتها ! فجمع الجيش البوليفي ومضى على رأسه مجتازاً التلال إلى الاودية ، وحينئذ بادره أحد قواده بسؤاله عما اذا كانت ثمة مراكب لنقل الجنود عبر المحيط الى فرنسا ؟ وكم كانت دهشة ماجاريجو عظيمة عند ما علم ان آلاف الاميال تفصل ما بين بوليفيا وفرنسا ! وهكذا عاد الى حيث بدأ زحفه في أسف وخيبة . . .



الدكتور ا . زكي أبو شادي

فمن هذه الحادثة التاريخية لا يشق حتى على المنطق اليسير أن يقدر أن الصداقة الاممية لا يكفى لاستغلالها الشعور بها ، وانما يجب أن تسندها المعرفة التامة . وفي أذهان القراء الكثير من الامثلة لصداقات بين الشعوب وبين الحكومات لم تؤد إلى الخير المرجو ، لا لسبب سوى جهل البعض بشؤون البعض الآخر . صحيح أن هذا الجهل في مظهره ليس مثل جهل ماجاريجو ، ولكنه في حقيقته شبيه به جد الشبه من ناحية التفاصيل وحسن تطبيق المعاونة . ولا شك في أن هذا من أمرار الفشل الذريع الذى منيت به الانسانية في علاقاتها الاممية ، ولا علاج لهذه الحالة المحزنة الا بنشر المعرفة الواسعة بين الشعوب عن سبل الترجمة الثقافية والسياحة وتبادل الزيارات

الجامعية وما شا كل ذلك ، وحينئذ يمكن للأمم أن تقف كل منها على متاعب الاخرى وأمانيها ، مع الاحساس بالمصالح المشتركة بينها احساساً دقيقاً يزجيها الى استنباط الوسائل لتبادل النفع والخير واتقاء النزاع ودفع الحروب

يصدق الاعتراف بأن هناك بداية حركة منذ سنوات فى هذا الاتجاه ، الا انها مع الاسف حركة ضعيفة جداً بالنسبة لعظم المسؤولية وخطورتها ، وبعبارة أخرى إن الثقافة الدولية والتعارف الامى محدودان جداً بالنسبة لتشعب العلاقات والمنافع . فكل سعى شامل يبذل لازالة الحجب والفوارق بين الشعوب ولتنوير بعضها عن البعض الآخر تنويراً تاما هو السعى الصادق للتعاون الامى والسلام الحقيقى بينها . وعلى هذا فالصداقة الامية لن تقوم لها قائمة بغير المعرفة الحقة ، فرجال الثقافة هم خير الاعوان للساسة متى كانوا مخلصين صادقين فى أداء رسالتهم . وانى كلما سمعت عن تأليف جمعية أممية ثقافية ، أو عن ذيوع دائرة معارف دولية جديدة ، أو عن زيادة التقارب بين الشعوب تولتنى غبطة عظيمة بأن الضمير الانسانى لم يمت بعد ، وأن الشعوب لابد مثبتة جدارتها بانسانيتها ، وان مآل الانسانية التسامى فوق الجهالة والتعصب الامى حتى تصير الارض هى الجنة الموعودة . . واذا كانت أجيال وأجيال تفرق بيننا وبين هذه الغاية النورانية فليس هذا مما ينهض عذراً لاستسلامنا للخمول واليأس ، بل علينا أن نكون جميعاً مبشرين فى تفاؤل بمستقبل الانسانية ، باذلين غاية وسعنا لازالة الحزازات التى ينميها الجهل بين الامم ، وهيهات أن تضيع هذه الجهود عبثاً وان تباطأ فعلها وظهور أثرها

ا . زكى ابو شادى



القانون الفرعوني

مصدر القوانين كلها

إذا كان القانون يجرى مجرى الأخذ بالثأر والتخلي عن المجرم لأهل المجنى عليه واسترقاق المدين فهو قانون بدائي يليق بالأمم البدوية وغير المتحضرة والقبائل

حينما كان العالم قبل سبعة آلاف سنة موغلا فى الجهالة والتوحش كان لدى مصر قانون يدل رقيه وحكمة قواعده ، وقيامها على أساس العدالة ، وإبتعادها عن مبدإ الانتقام الفطرى ، وإيمانها باختصاص الحكومة أي الجماعة باقامة القسطاس وتوقيع الجزاء ، وتنظيمه للهيئة التى تقوم بالقضاء مع ضمان استقلالها . يدل كل ذلك على مبلغ رقى الحضارة حينذاك ، لأن القانون الذى يكون فى هذه الدرجة السامية من الرقى لاريب يوافق حضارة سامية تبينا معالمها مما خلفت ، كما يدل على بعدها عن العهد الفطري الأولى لتكوين الدولة

وكان الشعب ينتخب القضاة ، والقضاة ينتخبون بدورهم رئيساً لهم ، وكانت المحكمة إذاقدمت بين يديها قضية لتنظرها جلس أعضاؤها وأمام الرئيس القانون مدون فى ٨ كتب ، وتجرى المحاكمة فى صمت لأن المرافعات كانت كتابية لا كلامية خوفا من التأثير على القضاة بسحر البلاغة ، أو قوة العارضة ، أو سرعة البديهة مما قد يؤدى إلى حيف أو ظلم . وبعد أن تستوفى المرافعات حدها يتداول القضاة ، ثم يصدرون حكمهم بالأغلبية ، والحكم يعلنه الرئيس ،وتتولى الحكومة تنفيذه ونحن فى القرن العشرين الميلادى بعد مرور آلاف السنين نتمنى للقضاة حرية كهذه !

***

لمصر تاريخ معروف يبدأ بحكم الفرعون « مينا » عام ٥٠٠٤ ق.م. أما ماقبل ذلك فلا يعرف عنه الكثير لذلك يسمى العصر الخرافى أو ماقبل التاريخ ، ويزعم قدامى المصريين أن ثلاث أسر من الملوك تداولت الحكم فى ذلك العصر : الأولى الاسرة المقدسة وملوكها من الآلهة . والثانية الاسرة الشبيهة بالمقدسة ، وهى مكونة من أشباه الآلهة . والثالثة أسرة حورشيسو وحكامها من الكهنة

وتقول أساطيرقدماء المصريين إن أوزيريس من ملوك الاسرة المقدسة وضع للمصريين الكتب

والطقوس ، وأن زوجته إيزيس سنت لهم قوانين الزواج الشرعي وأن توت من ملوك الاسرة الثانية سن الشرائع وعلم المصريين الكتابة والفلك ووضع السنة المصرية ،وقسم الشهور وباسمه سمى الشهر الأول من السنة المصرية المسماة الآن بالسنة القبطية

ولكن المحقق أنه كان سـاريا فى الدولة القديمة التى بدها مينا مؤسس الاسرة الاولى قانون معروفة بعض قواعده

وجاء بوكخوريس ابن مؤسس الاسرة الرابعة والعشرين « حكم من عام ٧١٨ — عام ٧١٢ ق.م» فجمع شتات القوانين الموجودة وعدل فيها وتسمى مجموعته مجموعة قوانين بوكخوريس ، وقد سماها الاغريق فيما بعد قانون العقود

ولما جاء أحمس الثانى من ملوك الاسرة السادسة والعشرين (حكم من عام ٥٦٩ — عام ٥٢٥ ق . م) سن قوانين عدة وعدل مجموعة بوكخوريس وجمع كل ذلك فى مجموعة قوانين أحمس عام ٥٥٤ق . م .

ولما تولى الحكم أمرنيوس مؤسس الاسرة الثامنة والعشرين « حكم من عام ٤٠٦ — عام ٤٠٠ ق . م » كون لجنة من المشترعين أعادت العمل بمجموعة بوكخوريس بعد تنقيحها، وظلت هذه المجموعة سارية كقانون لمصر إلى نهاية العهد الفرعوني

وفى عهد البطالسة عدلت وبقى العمل بها على الشعب المصري دون الاغارقه الذين كانوا يمتازون بالخضوع للقانون الأغريقى

وفى العهد الرومانى استمر تطبيقها حتى عام ٢١٢ ميلادية حين أصـدر الامبراطور كراجلا الرومانى قانوناً منح به الرعوية الرومانية لجميع شـعوب الامبراطورية الرومانيـة وحتم سريان القانون الرومانى عليهم . وبذلك انتهى سريان القانون المصري فى مصر بعد أن طبق ماينيف على الخمسين قرناً

فى تاريخ الامم فترات تنحط فيها المدنية انحطاطا شديداً . وقد جاء العهد الرومانى وبخاصة الدور المسيحى منه مسرحا للجهل والمناقشات البيزنطية ومجالا للفوضى والاستبداد والانحطاط . وقد قام العصر المسيحى حاجزا دون مدنية الفراعنة ، ومنها القانون الفرعونى ،كما مر العصر العثمانى على مصر فصد تيار الحضارة الاسلامية واستقبل عهداً من الجهل والفوضى والانحطاط قيد مصر عن مجاراة الامم بله التفوق عليها

***

قسم القانون المصرى القديم الأموال إلى . عقارية ، ومنقولة . والمنقولة إلى جامدة وحية —

وكان لفرعون جميع الاراضى ، ثم صار يمنح حق استغلالها لمن يشاء من النبلاء والكهنة ، ثم وزعت الأراضى على الأسر الكبيرة لتوزعها بدورها على صغار المزارعين

وكان للزارع بعد ذلك حق تملكها والتصرف فيها وتوارثها فكانت تابعة لهم ولم يكونوا تابعين مسترقين للأرض وأصحابها كما كان الأمر عند الرومان — وكانت المرأة تتساوى مع الرجل فى الارث

هذا هو حكم قانون مصر فى الملكية قبل نحو ٢٠٠٠ سنة . وقد دار الزمن دورته واذا بحاكم مصر قد عاد مالكا لأرضها ولم يبدأ المصريون فى تملك الأرض إلا عام ١٨٥٨ فى عهد سعيد باشا

وكانت التعهدات بداية شفوية بحضور الشهود ، ثم صارت كتابية منذ نحو ٣٥٠٠ سنة ، ووجب تسجيلها لدى المسجل الرسمى . ولم يكن يترتب على العقد سوى التزام من جانب واحد

وقد بلغت فائدة القرض ٣٠ فى المائة ولكنها لا تسرى إذا بلغ مجموعها مقدار الدين الاصلى . ولم يكن ثم تحكم فى شخص المدين فلم يكن يحجز إلا على أمواله فقط ، وشتان بين عدل القانون المصرى فى هذا وتعسف القانون الرومانى القاضى باسترقاق المدين للدائن . وكانت ملكية الأسر إجماعية أى أن جميع أفرادها متضامنون فى الالتزامات . غير أن الملكية لم تكن تسقط بالتقادم لأن القانون المصرى كان يجهل التقادم

وقد أباح القانون الاجارة وجعلها فى الأراضى الزراعية لمدة سنة ، وأرض البناء لأكثر من سنة . وكان الرهن معروفا وتقبل فى الرهون أشياء غريبة مثل مومياء الوالد ، وإذا لم تخلص قبل فاة من يرهنها حرم هذا الراهن من ميزات الدفن وحفلاته

وكان البيع يتخذ شكلا لجميع المعاملات من إجارة ورهن ووصية . وقد ادخلت مجموعة أحمس طريقة الاشهاد بالميزان فى التبنى والعقود الناقلة للملكية من عقار ومنقول . وطريقة الاشهاد أن يؤتى بميزان وقطعة من نحاس ويحضر طرفا العقد والشهود فيمسك المشترى موضوع التعاقد أو مايرمز له ويقول إنه اشتراه بالثمن المقدر بالميزان ، ثم يقرع الميزان بسبيكة النحاس مشيراً إلى وزن الثمن ، ولا ريب أن هذه صورة رمزية لطريقة البيع القديمة حينما كانت تستعمل سبائك النحاس كنقود

وكان عقد الزواج يجرى أولا مدنيا ثم يتلوه الزواج الدينى الذي يعقده الكاهن كما هو الحال الآن فى أرقى الأمم المتمدنة . وكان الزواج يجرى بطريق الشراء ، ولكن لم يكن معنى ذلك أن يسترق الزوج زوجته ، فمركزها يظل مساويا لمركزه ويبقى لها حق التصرف فى أموالها ، فى حين أن القانون الفرنسى الحديث كان يمنع الزوجة من التصرف فى أموالها بدون رضا الزوج ، كما كان لها

حق الطلاق ثم تطور الزواج حتى اكتفى بالعقد المدنى فقط ، ثم انتهى الأمر أن صارت الزوجة وأموالها ملكا للزوج بتأثير الشريعة اليهودية

وقد بدأ الرق فى عهد الأسرة الرابعة باستخدام أسرى الحرب

وكان عقاب القاتل الأعدام ، بصرف النظر عما إذا كان القتيل حرا أم عبدا لأن المهم هو توافر القصد الجنائى فحسب ، كما كان القتل عقاب المقسم الحانث بيمينه ، ومن امتنع عن مساعدة من يقتل أمامه ، وحكم الأعدام لا ينفذ فى المرأة الحامل حتى تلد

وعقاب الزنا جدع أنف الزوجة الزانية وضرب الزوج الزانى ١٠٠٠ عصا

وكان عقاب من يفشى أسرار الدولة قطع اللسان . وعقاب الجندى الفار من المعمعة أن يوسم بالعار فاذا استبسل بعد ذلك رد له اعتباره كما هو الشأن فى عصرنا هذا

وعقاب الوالدين اللذين يقتلان ولدهما الحكم باحتضانه ثلاثة أيام ، وهو كما أرى حكم روعى فيه العامل النفسى لجاء شديداً مفزعاً للضمير رغم انه عادل

وكان عقاب السرقة أو قطع الطريق الضرب بالعصا أو الأشغال الشاقة فى المناجم أو الموت حسب أهمية الجريمة . وهناك رواية غريبة فحواها أن القانون كان يقضى على كل محترف للسرقة أن يقيد اسمه لدى رئيس له فاذا سرق شيء ذهب المسروق منهم إلى الرئيس وأعطوه أوصاف الشيء المسروق ويدفعون له ربع قيمة هذا الشيء فيتولى رده اليهم ، وهذا يشابه ما يجرى الآن فى أرياف مصر من رد الشيء المسروق مقابل « الحلوان » . وتعليل ذلك أن المشرع لما رأى استحالة منع السرقة منعا باتا أوجد وسيلة لاسترداد الشيء المسروق مقابل أتاوة قليلة بدلا من فقدها كلية وهذه العادة مستغربة على أية حال

* * *

أثر القانون والعلم والفلسفة المصرية فى حياة الاغريق والرومان لا يتأتى لمؤرخ أن ينكره . وقد كان الكثيرون من طالبى العلم يتغربون عن بلادهم ليتعلموا فى جامعات مصر ومدارسها ، وقد اشتهرت جامعات منف وطيبة وعين شمس بكونها منهلا عذبا للعلوم والآداب تجمع جهابذة العلماء وفطاحل الأساتذة

وقد وفد إلى مصر من معلمى اليونان المشرعين ليكرج وصولون ، ومن الفلاسفة فيثاغورس وإقليدس وافلاطون . ولما آن لصولون العودة لبلاده وأراد وضع قانون لم يجد أمامه إلا قوانين مهذبة الأمم فاقتبس من مجموعة بوكخوريس

قال شمبوليون : « تعلم فيثاغورس بمصر كل ما استطاع معرفته ، كما تعلم بها صولون وطاليس

المليطى كل ما علماء اليونان ، ولمنا نجهل أسماء أساتذة افلاطون بجامعة عين شمس »

وقال ريفيو (١) : « كل مايمكن أن يسمى حقاً بقانون فى وصايا الألواح الاثنى عشر إنما أخذ من قانون مصر . لحقوق الأفراد والأمم التى يتحدث عنها مشرعو الرومان لم تكن من مخترعات عقولهم وإنما هى حقوق مأخوذة من قوانين مصر القديمة ، وفضلا عن هذا فقد كان المصريون أساتذة الاغريق وقدوتهم فى كل شؤون المدنية »

ومن أشهر ما أخذ القانون الرومانى عن القانون الفرعونى من الطرق الرمزية طريقة الاشهاد بالسبيكة والميزان . وقد سموها (mancipacis per aes et libram) وصار لها أهمية خاصة لديهم لكثرة إشكالات القانون الرومانى وحرفية إجراءاته

* * *

من المواد المقررة بالسنة الأولى بكلية الحقوق القانون الرومانى، وقد اضطررت للاعجاب به «للدور العظيم الذى قام به . فقد بدأ تجميعه سنة ٤٥٠ ق . م . وظل يتطور نحو ١٠٠٠ سنة ثم غشيه النسيان فراح فى لجته نحو ١٠٠٠ سنة أخرى ثم اكتشف ودرس وصار أساساً لمعظم قوانين الدول فى العصر الحاضر ، ومنها القانون المصرى المقتبس من القانون الفرنسى المأخوذ عن القانون الرومانى

ثم علمت أن القانون الرومانى ذا الألواح الاثنى عشر مأخوذ عن قانون صولون المشرع الاغريقى الذى وضع قانونه سنة ٦٠٠ ق . م . فزال ما توهمت من أن القانون الرومانى هو مصدر القوانين

ثم قل إعجابى بالقانون الرومانى لما علمت أن قانون حمورابى ملك بابل المجموع قبل ٣٥٠٠ سنة أرقى من القانون الرومانى فى نظرياته ويقرب من القوانين الحديثة ففيه مثلا مبدأ فصل الدين عن الدولة

وإن الانسان ليضطر أن يقل إعجابه بالقانون الرومانى أو يزول حين يعلم أن القانون الأول الذى استمدت منه حضارات البحر الابيض المتوسط شرائعها قد بدأ قبل قانون حمورابى بنحو ٣٠٠٠ سنة وقد مر بتطورات عظيمة على عصور طويلة تبلغ ٥٠٠٠ سنة أو تزيد . وما هذا القانون الأول إلا القانون الفرعونى

القانون الرومانى يدرس فى الأمم اللاتينية على انه أصل القوانين الحديثة ، ولهذا يدرس عندنا فى كلية الحقوق . ولكن ما الداعى لان نجارى الامم الغربية فى عصبيتهم للقانون الرومانى باعتباره غربيا ؟ لم لانحكم العقل والمنطق والتاريخ فضلا عن الحافز القومى فندرس القانون الفرعونى باعتباره أساساً لجميع القوانين ؟

---

(١) ريفيو عالم فرنسى من علماء المصرلوجية أثبت أن أهم قوانين الرومان أخذت من قانون أحمس وما بعده

يدرس فى المنة الاولى بكلية الحقوق تاريخ القانون فلا ينسى ذ كر المجموعات القديمة كقانون دراكون وقانون صولون الاغريقيين وقانون الاثنى عشر لوحة الرومانى وقانون حمورابى البابلى حتى قانون جورتين الكريدى وقانون مانو الهندي ثم لايشار بحرف للمجموعات المصرية مثل مجموعتى بوكخوريس وأحمس . ويدرس أيضا التطور فى الشرائع الرومانية والانجليزية والاسلامية ويهمل القانون الفرعونى أصل الشرائع ومبدأ تطورها

ويدرس تاريخ القانون فى دبلوم الدراسة العليا فى القانون العام فلا يفوته القانونين اليونانى والرومانى . وكأن البرنامج يراجع نفسه لاستدراج مافات السنين المتقدمة درسه بيد أن جهده لايعدو عهد البطالسة لاتصاله بالقانون الاغريقى ولايعترف بقانون فى مصر قبل ذلك

* * *

مما يحز فى النفس القومية أن نجد الأجانب أمثال ريفيو يأخذون أنفسهم باثبات مجد مصر،وهو تاج فخار وعزة وكرامة ، ونبقى نحن بنجوة ساهين ، مكتفين بالتشدق من حين الى حين ، بأننا الخلف الصالح وأحفاد الفراعين — مالنا ندفن صفحاتنا البيض النواصع ونرفع صفحات قانون الرومان وهم المغتصبون الأوائل الذين حرمونا قانوننا المجيد بعد أن بددوا حضارتنا ؟

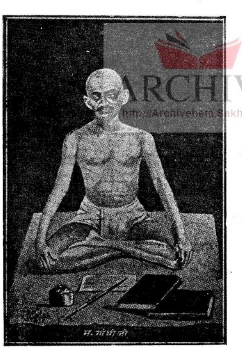
ولكن أليس المصري غريباً فى بلاده حتى فى شرائعه ؟ !!

عبد الخالق ثروت الغمراوى



اجتماع لسماع غاندى

بادما سيدة هندية تعيش مع زوجها المحامى فى يسر وهناء فى إحدى المدن الصغيرة فى الهند ، وهى هندوكية مثله تحترم التقاليد الهندية وتمارسها فى عقيدة ثابتة لايشوبها شك ، ومن عقائدها كراهة المنبوذين والتشاؤم برؤيتهم والخوف من نجاستهم . وكان أحد هؤلاء المنبوذين يأتى الى المنزل كل يوم فى الصباح لـكى يجمع الزبالة ويحملها فى عربة بعيداً عن المدينة ، وفى الهند يقوم المنبوذون بأحقر الاعمال مثل كساحة المراحيض وجمع الزبالة ، والمنبوذ لهذا السبب قذر الهيئة سيىء الرائحة ، وهذه القذارة التى تجلبها عليه حرفته الوضيعة تزيده احتقاراً



غاندى

وسمعت « بادما » أن غاندى العظيم سيأتى الى مدينتها وسيعقد اجتماعا تحضره السيدات لـكى يجمع التبرعات للمنبوذين فان غاندى قد طلق السياسة منذ أربع سنوات وقصر جهوده على انقاذ المنبوذين من نـكبة النجاسة وفتح معابد الهندوكين وتأسيس المدارس لهم ورفع مستواهم الاقتصادى وهو يتنقل من مدينة إلى أخرى فيعقد الاجتماعات ، ويخطب بين الجماهير الهندوكية المتعصبة فيقول بمساواة المنبوذين بسائر الطوائف ويجمع منهم الاموال لترقية هؤلاء المنبوذين

ومع أن بادما تـكره المنبوذين وقد نشأت منذ طفولتها وتلقين أمها على كراهيتهم فانها كانت تحب أن ترى غاندى وقد سبق لها قبل أربع سنوات أن حضرت اجتماعا له وكانت متحلية ببعض

حليها الثمينة من الذهب والفضة ، فلما طلب غاندى التبرعات قدمت له جميع حليها وكانت لا يقل ثمنها عن مائة جنيه . فلما عادت الى بيتها وعرف زوجها مافعلت خاصمها وبقى الخصام نحو خمسة أشهر لم يشترك الاثنان فى حديث

وقد تذكرت حليها هذه المرة . ولذلك قالت لزوجها انها تنوى حضور الاجتماع ولكنها لن تأخذ حليها معها ، فوافق الزوج على ذلك وخرج هو الى مكتبه وتجهزت هى للذهاب الى الاجتماع فنزعت جميع ما عليها من الحلى ، ثم نظرت الى نفسها فى المرآة فلم تعجبها هيئتها وهى عاطلة من الحلى ولذلك عادت فوضعت سواريها على ساعديها وهى تنوى أن تخفيهما حتى إذا طلب غاندى التبرعات لم تطالب أو لم تحرج على أن تقدم شيئا

وقصدت الى الاجتماع فوجدت الآلاف من الرجال ومن النساء الفقيرات والغنيات وهن فى لغط وحديث وضوضاء لا تنقطع ولكن عندما صعد غاندى الى المنصة هدأ الاجتماع وسكنت الضوضاء ، وقعد غاندى والجمهور يتأمل شخصه الضعيف بل النحيل وهو شيخ ضئيل الجسم له شاربان ابيضان وعلى كتفيه شملة من النسيج الهندى الذى دعا اليه هذا الزعيم ، وكان جميع الحاضرين تقريبا من الرجال والنساء يلبسون هذا النسيج

شرع غاندى فى الكلام والصمت يسود المكان كأن ليس فيه أحد فقال

« اخوتى . اخوانى . إننا قد اجتمعنا هنا لكى نجمع بعض المال لمساعدة المنبوذين. كلنا أمام الله متساوون ليس بيننا رفيع ووضيع ، وهذا المنبوذ هو أخونا الذى يجب أن نحبه ونساعده حتى يعيش مطمئنا على حياته وعلى معاشه ، لقد ظلمناه كثيراً وآن الاوان لان نكف عن ظلمنا له ، ان الديانة الهندوكية لم تظلمه حين قررت إنقسام الناس الى طوائف لانها انما قصدت ذلك على سبيل التخصيص أى أن تختص كل طائفة بعمل ما ، ولكننا نحن أسأنا فصرنا نحتقر المنبوذين ونحرمهم من الحقوق حتى عمتهم الفاقة وأدت بهم الى القذارة التى تشبه النجاسة ، انى أطلب أموالكم فلا تبخلوا بها »

ثم خطب اثنان أو ثلاثة من الخطباء وحضوا على التبرع . وعاد غاندى فتحدث فى صوت هادىء بلغة العامة وهو لا يتكلف الكلمة البليغة أو الايماءة المدروسة . فحض على الخير والحب والمساواة بين الطوائف والمنبوذين

وشرع الحاضرون يقدمون حليهم ونقودهم حتى ارتفع منها كوم فوق المنصة وجمدت بادما مكانها لا تتقدم . ولكنها شعرت كأن غاندى ينظر اليها ويوبخها . والواقع أن غاندى التفت اليها وقال فى نغمة حلوة:

« وأنت يا أختي ماذا تقدمين للمنبوذين ؟ »

فنهضت بادما وتقدمت الى المنصة ونزعت سواريها . فقال غاندى « أشكرك يا أختي »

* * *

وعادت بادما الى مكانها وهى ترتجف من الفرح والخوف فان الفرح قد غمرها بكلمات غاندي . والخوف تمكنها لما تتوقع من رؤية زوجها وحديثه الخشن معها بشأن السوارين اللذين تبرعت بهما

وجاء الزوج وتناول عشاءه وانكفأ الى سريره ولم يمض عليه دقائق حتى نام . ولكن بادما لم تطق النوم فبقيت ساعة ثم ساعتين ثم ثلاثاً وهى فى ارق وهم . وأخيرا نهضت وايقظت زوجها وفاجأته بقولها :

« اسمع . اسمع . أنا تبرعت بالسوارين »

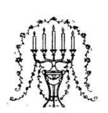
فقال الزوج وهو فى نعاس يكاد يغلبه .

« ألم أقل لك قبل الذهاب أن تنزعى حليك ؟ » ثم غلبه النوم

فعادت وأيقظته لانها شعرت انه يجب الفصل فى هذا الموضوع بجد وبلا هوادة . واستيقظ الزوج تماما . وسمع القصة بتفاصيلها وكيف أن زوجته حاولت أولا أن تخفى سواريها . وكيف نجحت فى الأول ولكنها استجابت أخيرا لطلب غاندى

وهنا قال الزوج « وأنا أردت أن أذهب الى المكتب ولكنى قصدت الى الاجتماع وكان معى سبعون روبية وضعتها أمام غاندي »

ونام الاثنان بعد ذلك نوماً عميقاً



الصناعة حياة الأمم

بقلم الدكتور حسين على الرفاعى

خامات وآلات ، وأيد عاملة ، ورءوس أموال ، ورءوس مفكرة تنتج مجتمعة حرفا عديدة ، وهى فى مجموعها تولد الصناعات

والصناعه حرفة شريفة وباب رزق لاينضب مادام القائمون بها يعملون لها بكل جد ونشاط وإخلاص وأمانه . وصناعة فى اليد أمان من الفقر . ولا نجاح لخمول فى الصناعة ، ولا صناعة مع خمول بل ليس للخمول حظ فى الحياة ، لان الحياة نضال مستمر لايفوز فيها إلا العامل اليقظ ، والصناعة فى حاجة مستمرة الى التجديد ، ولايتوافر التجديد إلا بحب الاستطلاع ، لاقتباس الطرق الحديثه والوسائل المبتكرة المؤدية إلى نجاح الصناعه ، ورواج مصنوعاتها فى الداخل والخارج

نظرة صغيرة إلى ماحولنا وإلى الحياة التى نحياها فى بلادنا والمعيشة التى نعيشها فى منازلنا ، الصغير منا والكبير ، الحقير منا والعظيم ، الفقير منا والغنى ، نرى صناعات فى صناعات . صناعات آلية وصناعات يدوية ، صناعات منزلية ، وصناعات خارجية ، صناعات غذائية ، وصناعات غير غذائية ، صناعات زراعية ، وصناعات غير زراعية ، صناعات الغزل والنسج والصباغة من قطنية وصوفية وحريرية وكتانية وتيلية ، صناعات الخضر والفاكهة المجففة والمحفوظة ، صناعات الأسماك والزيوت والورق والجلود والصابون والاسمنت والفخار والجرانيت والرخام والأسمدة والزجاج والأثاث ، وغير ذلك من مختلف الصناعات التى يعجز القلم عن حصرها

كل هذه الصناعات موجودة فى القطر المصري بنسب محدودة ، ولا أقول إنها متوافرة وكافية لحاجة البلاد لأنها حديثة ناشئة ، وهى على حداثتها تبشر بالنجاح . وقد عنى بأمرها عناية خاصة الزعيم الاقتصادى الكبير ، وأستاذنا الفاضل المخلص لوطنه ، الغيور على رفاهية مواطنيه ، صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا

ولما كانت صناعات القطر حديثة فان القائمين برعايتها وحمايتها من سادة القوم والحكومة يسيرون رويداً رويداً ليقيموها على دعائم متينة ، فيضعوا لها الأسس الراسخة التى لاتزعزعها عواصف المنافسة غير الشريفة - داخلية كانت أو خارجية ، والحكومة تدأب فى حمايتها ، والضرب على أيدى العابثين بها ، بوضع القوانين اللازمة لمنع الغش أو التلاعب فيها

وفى مصر صناعات كثيرة ، خاماتبعضها متوفرة فيها ، وخامات الآخر يعوزها بعض العناصر الواجب استحضارها من الخارج . ولا يضيرنا فى أعمالنا الصناعية أن نستعين بالامم الاجنبية لاتمام ماينقصنا لاصلاح أحوالنا الصناعية ، لان هذه الامم تستعين بما توافر لدينا من الخامات لانجاح صناعتها هى بدورها . فالامم متضامنة فى الحياة الاقتصادية ، وما زاد فى أمة من الخيرات الطبيعية يتمم مانقص فى الامم الاخرى

أما فى مصر فقد رجحت كفة الصناعات الزراعية ، لأن قوام البلاد الزراعة . والصناعات الزراعية على نوعين : — صناعات زراعية غير غذائية أى لاتستعمل للتغذية ، وصناعات زراعية غذائية . وفى هذا التقسيم امتازت الصناعات الزراعية عن الصناعات غير الزراعية فى مصر ، وأصبح للقطن المصرى القدح المعلى ، ولذا فهو جدير بأن يكون الحجر الاساسى لاحياء القطر صناعياً

فالقطن متوافر لدينا وهو ثروتنا الوحيدة رغم كل مكابر . وإذا كنا نريد أن نكون مخلصين حقاً فيجب علينا أن نضع استغلال هذا المحصول الزراعى فى مقدمة قائمة الصناعات المطلوب إنعاشها . ولقد فطن لهذه الحقيقة زعماء النهضة الاقتصادية وأنصارها فأسسوا « مدينة الصناعات القطنية » فى المحلة الكبرى . وكان بودى الاطالة فى الكتابة عنها ولكن رغبة فى عدم بخسها حقها، أكتفى بالاشارة اليها ، إذ لم يسعدنى الحظ بعد بزيارتها

ورغم الجهود الجبارة التى يبذلها رجال «شركات مصر» فانها لاتكفى لاستهلاك نصف محصول القطر القطنى فى الصناعات . وعلى ذلك فان المجال فسيح والميدان واسع ليفكر أغنياؤنا فى استغلال كمية كبيرة أخرى من قطن البلاد فى الانتاج الصناعى ، وعندئذ يجنى القطر من هذا النهوض فائدتين عظيمتين : إذ يرتفع بلا شك سعر القطن المصرى لقلة الباقى منه للتصدير ، ثم تستفيد البلاد من المصنوعات القطنية الاهلية حيث تباع داخلياً بأثمان رخيصة لعدم تحملها نفقات النقل والتصدير ، فضلا عن دقة صنعها ومتانة نسجها وجودة نوعها . على أننا لاننسى مايعود على عمال القطر من فتح أبواب جديدة للارتزاق منها . وكذا المصنوعات الصوفية التى ظهر تقدمها فى السنوات الأخيرة بفضل عناية وزارة الزراعة والجمعية الزراعية الملكية بتحسين أنواع المواشى والعناية بأصوافها ، فانتشرت مصانع السجاد الحكومية والاهلية

ولقد أثبتت مصر للعالم — بفضل ماقدمته من مصنوعاتها المختلفة فى المعارض الدولية التى اشتركت فى كثير منها — أن فى مصر صناعات ، وأن فى مصر رجالا يعنون بأمرها ، وأن مصر غنية فى صناعاتها بعكس مايزعمون ويدعون فقرها وعدم مقدرتها على الخوض فى ميدان الصناعات

وهناك صناعات زراعية ولكنها غذائية وهى المعروفة بالمحفوظات والمجففات أي التى تحفظ فى علب أو أوعية خاصة أو التى تجفف من الحاصلات الزراعية التى تنتجها المزارع والحدائق من خضر

وفاكهة . وأرجو أن يعذرني القارىء إذا قلت إن العناية بهذا النوع من الصناعات مازال في مهده والاقدام عليه ضئيل لا يتناسب مع الاقدام على المزارع والحدائق التي خصصها أصحاب الاراضي الزراعية للخضر أو الفاكهة

لا أريد أن أغمط الحكومة نصيبها في هذا الميدان ولكنه نصيب تعليمي أساسه الارشاد فمن الخطأ الاعتماد عليه وحده كمقياس لتقدم الصناعة وانتشارها في البلاد . وإنما فضل الحكومة في هذا الباب هو فضل المعلم المخلص والمرشد الامين لا أكثر ولا أقل . ولا أريد أن أحط من قدر الجهود العظيمة والمساعي المشكورة التي قام بها كبار الملاك من تخصيص مساحات وافرة من أطيانهم لانبات الخضر والفاكهة ، أذكر منهم على إسلام باشا ومحمود زكي بك . ولكن يقتصر الكثير من منتجي الخضر والفاكهة في مشاريعهم الموفقة على إنتاج أجود أصناف الخضر والفاكهة دون تخصيص جزء من هذه الحاصلات للانتاج الصناعي بأنفسهم ، فالمسألة في حاجة إلى شيء من الاقدام مع التضحية في البداية والنجاح في النهاية ، على أن يتولى تحقيق هذه الأمنية أصحاب هذه المزارع والحدائق

وعلى فرض نجاح الصناعات وتوافر منتجاتها في مصر ، هل يجوز الاكتفاء بهذا القسط من النشاط الاقتصادي ؟ أو هل هناك شطر آخر عظيم الاهمية يجب العمل على إنهاضه والاخذ بناصره وبذل أقصى مايمكن بذله لتصل مصر بصناعتها إلى الغاية المنشودة — وهي رواجها في الداخل والخارج ؟ وهل هناك فائدة من نجاح الصناعات الاهلية دون إعداد العدة اللازمة لتصريفها ؟

لا حياة للصناعة اذا لم نمهد لها السبل التجارية التي تضمن تصريف ماتنتجه . فالتجارة وحدها هي مفتاح نجاح الصناعة ، اذ لا فائدة من الصناعة دون التجارة ، ولا حياة للتجارة اذا لم يعن بتنظيمها . ومع شديد الأسف فان الجزء الأعظم من التجارة في مصر في يد الأجانب ، وقسط المصريين فيه ضئيل ، وان كان قد بدأ أخيراً في الظهور

ولست أريد أن أقول كما كان يزعم الطبيعيون « الفزيوكراتيون » في فرنسا قديماً أن الصناعة عالة على الزراعة ، وأن التجارة سرقة . فقد انقضى هذا العهد الغابر وتحولت الافكار وتطورت الأمم فأصبحت الزراعة والصناعة والتجارة متضافرة ومتضامنة ، لا قوام لواحدة منها دون الاخرى

ولذا أرجو أن يوفق الله الغرف التجارية المصرية — التي أود ، وألح أشد الالحاح في ضرورة تسميتها « الغرف الصناعية والتجارية » — إلى الاخذ بيد الصناعة والتجارة والوصول بهما الى ماتتوق اليه مصر من خير ونجاح خليقين بهذه النهضة المباركة

السودان الذى أعيد الينا

وهجرة المصريين اليه

نصت المعاهدة بين مصر وبريطانيا على اعادة السودان من حيث الادارة والموقف السياسى إلى الاتفاقية المعقودة سنة ١٨٩٩ وبذلك أصبحت ادارة هذا القطر ثنائية تستوى فيها حقوق مصر بحقوق بريطانيا . وقد جاء فى المعاهدة انه :

« يواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الأولى لادارتهما فى السودان يجب ان تكون رفاهية السودانيين . وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين فى السودان للحاكم العام الذى يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين فى الوظائف الجديدة التى لايتوافر لها سودانيون أكفاء »



سيدة فى أم درمان

ومن هذه النصوص يتضح لاخواننا السودانيين ان مصر لاتستأثر بحق دونهم وانها لاتنظر نظرة الاستعمار للسودان بل هى تعترف أن رفاهيتهم مقدمة على كل اعتبار سواء من ناحية مصر أم من ناحية بريطانيا

وتقول نصوص أخرى أن :

« يكون جنود بريطانيون وجنود

مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلا عن الجنود السودانيين . وتكون الهجرة المصرية إلى السودان خالية من كل قيد إلا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام . ولا يكون هناك تمييز بين الرعايا البريطانيين و بين الوطنيين المصريين فى شئون التجارة والمهاجرة والامتلاك »

* * *

هذا هو أهم ماجاء فى النصوص الخاصة بالسودان . وقد فرح اخواننا السودانيون بفتح باب الهجرة المصرية إلى قطرهم . وليس فى العالم العربى قطر هو أقرب الينا فى الدم واللغة والدين والعادات والتاريخ من السودان ولكن يجب ألا ينخدع أحد بلفظة « الهجرة » فان السودان فقير . والمصرى الذى ينوى الهجرة اليه يجب أن يحمل معه من الأموال ما يكفى لتأسيس متجر أو مصنع أو لاستغلال زراعة . أما الشاب الذى يعتقد انه يمكنه أن يجد العيش بمهارته الفنية أو ذكائه أو مغامرته فلن يجد فى السودان غير خيبة الأمل



سوق الفخار فى أم درمان

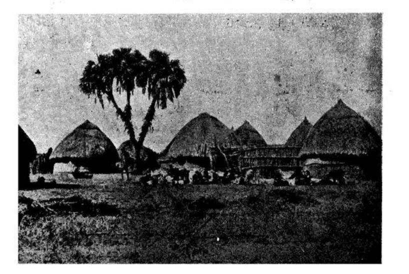
ولفظة « السودان » توهمنا ان هناك قطرا واحدا . ولكن الحقيقة انها تعنى قطرين . ففى الشمال نجد السودان العربى حيث يتكلم السكان اللغة العربية وحيث ملامح الوجه عربية مصرية . وفى هذا القسم لا يشعر المصرى المهاجر انه غريب إذ هو يجد كل شىء تقريبا مطابقا لما تركه فى مصر

ولـكن فى الجنوب نجـد قطراً آخر هو غريب عنا وعن السودانيين العرب كل الغرابة إذ هو مؤلف من زنوج لايعرفون العربيـة ولا يدينون بالاسلام أو المسيحية وهم فى حال من التوحش إذا لم تجعل إقامة المصرى محاطة بالقلق الدائم فانها تجعله على الأقل يشـعر انه فى قلب افريقيا غريب عن وطنه . وسكان هذا القسم يتفاوتون فى توحشهم وأ كثرهم لايزال يعيش برعاية البقر والخراف والمعز ويجهـل الزراعة أو يمارسها بطرق بدائية

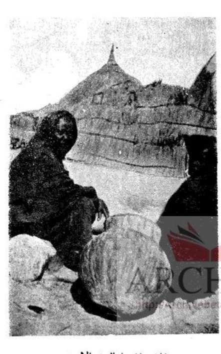
وليست الاقامة فى القسم الجنوبى سهلة على المهاجر المصرى . فان الأمطار فى بعض

باليسار سلطان فى قبائل نيام نيام عند بحر الغزال

فى أسفل قرية من قري الشيلوك



هذه الاقاليم الجنوبيـة يتوالى سقوطها نحو عشرين يوما . والارض كاسية بالأشجار والاعشاب ولـكن المواصلات سيئة والتنقل شاق . ولذلك لم يمكن الى الآن الانتفاع بالميزات الاقتصادية التى لا تنكر فى هذه الاقاليم . والقسم الشمالى (حيث السكان العرب) قليـل الخيرات كثير الصحارى ولـكنه مأنوس بسكانه لا يشق على المصرى أن يقيم فيه . وهناك أقاليم خصبة هى أرض الجزيرة وبعض السهول الواقعة على ضفتى النيـل الابيض . ولا يمكن المصرى المهاجر أن يفـكر فى استغلال هذه الارض ما لم يكن عنده مبلغ ضخم لهـذا الغرض . وقد أسس بعض المهاجرين بساتين للفواكه بالقرب من الخرطوم وانتفع بها كثيرا . وهـذا العمل يمكن التوسع فيه



فلاحتان على النيل الابيض



مستقبل الطب

للاستاذ رمسيس شحاته

اضحي الطب الآن بفضل ما اسداه من الخدمات الجليلة للانسانيه من أكبر الاشياء التي نحرص عليها أشد الحرص ونتمنى لها من كل قلوبنا كل تقدم ونجاح . ويشجعنا على طلب المزيد ماحققه الطب من عجائب تقرب من حد المعجزات وما أصابه من نجاح تجاوب صداه فى كل أجزاء العالم كما تناول كل نواحى نشاط البشرية قاطبة من تحسين واتمام وتعديل . ولاشك أن أثر ذلك النجاح كان اعمق مايكون فى تطور حياتنا العقلية والجسمية

والطب دائم التغير وهو فى حركة مستمرة حيث السعي نحو الاكمل والاحسن فلا تمضى لحظة دون أن يتحقق فى العالم تقدم جديد أو دون أن نصيب نفعا جديدا . ولقد دعانا هذا الي تأمل مستقبل الطب وما يمكن أن يكون عليه بعد مدة من الزمن . ولسنا ندعى الاحاطة بهذا الموضوع فهذا امر محال كما اننا لاندعي كشف الغيب فهذا تخريف وهراء تنقصه الامانة العلمية وروح الجد والاتزان . انما نعتقد أن الاتجاهات الحديثة التي تتجها الابحاث الطبية الآن تكاد ترسم لنا صورة واضحة لما سيكون عليه حال الطب فى المستقبل.وهذا المستقبل وان امتدت حدوده الى ماوراء حياة الفرد العادى لايمكننا الا أن نعتبره مستقبلا قريبا

ولقد سنحت لكاتب هذه السطور فرصة الاتصال من قرب بطرف من هذه الاتجاهات كما أنه كثيرا ماتهافت على دراسة الجديد منها دراسة توفر لها فى اوقات طويلة وقصد عليها ماالاستطاع من جهد وعناء

والطب بطبيعته علم وفن وليس من الممكن تحقيق أى جديد أو نجاح فيه مالم يتمش نجاح الناحية العلمية اى العلوم الطبية على اختلاف فروعها مع الناحية الفنية وتشمل فن التشخيص ووسائله ثم فن العلاج وسبله.فبتقدم هاتين الناحيتين معا وليس بتقدم واحدة منهما فقط يتحقق تقدم الطب عامة

مما تقدم نستطيع أن نري أن الكلام عن مستقبل الطب لابد أن ينقسم بطبيعة الحال الى

الكلام عن مستقبل العلوم الطبية ثم الكلام عن مستقبل فن التشخيص ووسائله واخيرا الكلام من مستقبل العلاج ووسائله . وسنتعرض فيما يلى للكلام عن كل من هذه النواحى على التوالى اعتقادا منا أن هذا الطريق يكاد يكون الوحيد لايصالنا إلى الاحاطة بالموضوع على أكمل وجه وابسط صورة

مستقبل العلوم الطبية

وليسمح لنا القارىء أن نقدم له أولا هذه العلوم واحدا واحدا رجاء تكوين فكرة عامة عنها ومعرفة حقيقتها وغاياتها

أول هذه العلوم الطبية هو علم التشريح وهو دراسة جسم الانسان من حيث الشكل والبناء والتشابه وهذا هو التعريف الاصلى لعلم التشريح وان كنا نميل الآن الى تقسيمه الى ثلاثة فروع مختلفة علم التشريح بالمعنى المقيد وينحو فى دراسة جسم الانسان من حيث الشكل ومواضع الاعضاء ونسبها وعلاقتها ببعض . ثم علم الانسجة وهو علم دراسة الانسجة المختلفة التى يتكون منها الجسم البشرى وانواع الخلايا المختلفة التى تدخل فى بنائه . ثم علم الاجنة وهو علم دراسة الاطوار المختلفة التى يمر فيها الجنين حتى يصير انسانا كاملا

وعلم التشريح علم لانستطيع الابتداع فيه لانه مقيد ببناء الجسم ولكنه لايزال بعد ناقصا فانا وان كنا نعرف الكثير عن بناء الجسم البشرى مازلنا نجهل شيئا كثيرا أيضا على الاخص مايتعلق بالجهاز العصبى المركزى . فنحن لانعرف فى الحقيقة الا الشكل الخارجى للمخ وبقية أجزاء الجهاز العصبى المركزى فوق جهلنا بالمراكز المختلفة الموجودة فيه ومواضعها وما يتصل بها من حزم عصبية . ولقد اتجهت البحوث الأخيرة نحوه وكان على رأس المساهمين فى هذا الباب الاستاذان دلماس ولو من جامعة مونبيليه من بعد الاستاذ جيليس والاستاذ جراسيه من نفس الجامعة ولكل من هؤلاء مؤلفات قيمة فى هذا الموضوع ولكن مازال هناك مجال متسع للبحث فما زلنا نجهل اشياء كثيرة عن هذا الموضوع وأغلب الظن أن هذا هو الباب الوحيد الذى سيتحقق فيه نجاح ذو قيمة فى علم التشريح فى المستقبل اذا اعتبرنا ان مسألة البحث فى النظام اللمفاوى اوشكت أن تدخل فى حيز الانتهاء

أما علم الانسجة فمستقبله عظيم ولاشك أنه مقبل على عصر عظيم من التقدم والنجاح وأهم ابواب النجاح فيه باب زراعة الانسجة Culture de tissue وقد بدأ البحث فى هذا الباب منذ

مدة ولكن النتائج التى حصلنا عليها لاتكفى بعد انما تعد اكبر مشجع للمضى فى الموضوع والاستفادة من البحث خصوصا وان النتائج التى حصلنا عليها حتى الآن مع قلتها قد امكن أن نجد لها تطبيقات فذة أقلها عملية التطعيم بالغدد التناسلية الشابة على نحو ما هو معروف فى عمليات تجديد الشباب . ثم التطبيقات الهامة فى جبر الكسور وعمليات جراحة التجميل . وقد ظهر أننا نستطيع أن ندفع بالبحث الى أكثر مما تقدم للحصول على نتائج اعظم وأبهر مما لدينا إلى الآن

وهناك باب آخر للعمل نحو التجديد فى علم الانسجة وهو يبشر بثورة هائلة ربما تناولت هذا العلم من الاساس فمن المعروف أننا نلجأ فى دراسة الانسجة المختلفة للجسم إلى عمليات تلوينها فنلونها باصباغ خاصة وهذه الاصباغ تكون الاجزاء المختلفة للخلايا بألوان مختلفة يسهل التمييز بينها ومن ثم الحكم على تركيب الخلية الداخلى . ونحن قد نتبين الشيء الكثير باتباع عملية التلوين هذه ولكننا نسعى منذ أمد بعيد الى التخلص منها لانه ظهر لنا أن الاصباغ تقوم فى بعض الاحيان بخلق أجزاء جديدة فى الخلايا ليست موجودة فيها فى الحالة الطبيعية وذلك لان تلون الخلية يعقبه موتها

وقد كنا نطمع أن نتمكن من رؤية الخلية حية لما تتغير بعد كما يحدث فى حالة موتها ولقد كانت هناك صعوبة هائلة وهى ان الخلايا شفافة بالنسبة للضوء العادى ولا يمكننا أن نميز بينها قبل التلوين أى شيء بواسطة المجهر والضوء الطبيعى

ولكن استطاع أخيرا الاستاذ لامارك من جامعة مونبليه أيضا استنباط طريقة جديدة لمشاهدة الخلية الحية وتصويرها تصويراً يكشف عن أجزائها المختلفة دون حاجة الى تلوينها وذلك باستعمال أشعة رونتجن ذات طول موجة خاصة وشدة خاصة

ولقد كان لاذاعة هذا الاختراع رنة تجاوب صداها فى كل الاوساط العلمية فى العالم وهذه الطريقة حديثة لم تعلن الا فى شهر مارس من هذا العام ومع كل فقد أمكن أن نحقق بها نجاحا وان نحصل على نتائج جديدة تبشر بمستقبل زاهر وتطور جديد

وفى اعتقادى ان النجاح الذى سوف نحققه فى علم الانسجة سوف يتجه على الاخص فى الاتجاهين اللذين بيناهما فيما تقدم

أما علم الاجنة فهذا علم لم يولد إلا مع القرن الحالى بأبحاث ارنست هيكل العالم الالمانى الفذ وهو علم حديث على ذلك وهو مازال فى دور التكوين. وما زلنا نجهل فيه الشيء الكثير اذ ليس تاريخ

الجنين البشرى واضحا الآن تمام الوضوح ولسنا نلم بكل دقائقه فهناك فترات لاتزال مظلمة أغلب ظنى أن البحث سيتجه نحوها حتى يكشف الحجاب عنها ويزيل النقاب نهائياً عن خفاياها

على أن هناك مشكلة أخرى لها قيمتها وهى مشكلة تعيين الجنس فقد ظهر منذ مدة اننا نستطيع ان نعين جنس الجنين إن كان ذكرا أو أنثى وأن نتحكم فيه بالنسبة الى بعض الحيوانات وعلى الأخص الطيور . ولكن مازال هذا الأمر مستحيلا بالنسبة للنوع البشرى وفوق ذلك فنحن لم نصل بعد الى تفسير كامل لاختلاف الأجناس ولا بد لنا من ابحاث جديدة فى هذا الباب وقد اتجه الباحثون فعلا الى العمل فى هذا الميدان . وهناك نتائج معينة تدفعنا الى الاعتقاد بأن المستقبل جدير بتحقيق تقدم عظيم من هذه الناحية

وهناك مسألة أخرى وباب جديد للبحث فتحه استاذ من أساتذة جامعة ستراسبورج منذ عامين ذلك هو تحقيق تربية الجنين خارج الرحم . لاشك أن هذه الطريقة جديرة بأن توصلنا الى كشف الستار عن الفترات الغامضة فى تاريخ الجنين البشرى فوق ازالة القناع عما خفى فى مسألة الجنس وربما قدمت لذلك تفسيراً قاطعا هذا فضلا عما قد تؤديه لنا من الخدمات اذا لجأنا الى تطبيقها عمليا لأن هذا يحقق فى الواقع فكرة معامل لخلق الانسان

ان النتائج التى حصلت عليها معامل جامعة ستراسبورج تدعو الى الاعتقاد بتعميم هذا البحث فى الجامعات الاخرى مما سوف يكون له أبعد الاثر فى مستقبل العلوم الطبية

يلى علم التشريح العام فى الاهمية والقيمة علم وظائف الاعضاء وهو يبحث فى الشروط العامة . التى يجب أن تتوافر فى الجسم لاستمرار الحياة فيه ثم دراسة نشاط هذا الجسم وما تقدمه أعضاؤه المختلفة من عمل أو لما لها من وظيفة

ولقد كان الكلام فى هذا العلم فى قديم الزمان رجما بالغيب وضربا من التخمين ولكن التطور الكبير الذى أحدثه فيه كلود برنار قد انتقل به الى حدود العلوم التجريبية المنضبطة ولقد عرف علم وظائف الأعضاء بعدئذ عصرا من التقدم والنشاط لم يكن له به عهد وقد بلغ هذا التقدم أوجه فى الوقت الحاضر فتعددت الاكتشافات الكبرى فى هذا العلم كما تعددت تطبيقاته الطبية . ولكننا لانزال بعيدين عن الكمال فى هذا الباب أيضا . ومن العجب أن يكون النقص على أشد ما يكون فى معلوماتنا عن الجهاز العصبى العام من الناحية الفسيولوجية متمشيا مع جهلنا به من ناحية التشريح

أننا مازلنا نجهل كيفية انتقال التيار العصبي فى الاعصاب بل لانستطيع أن نثبت أن هناك حقيقة تيار عصبي وما زالت تتنازعنا فى ذلك نظريات على أشد ماتكون من الاختلاف فيما بينها. فهناك النظرية الكهربائية ثم النظرية الكيماوية وأعجب من ذلك كله النظرية الحيوية. لقد وضع حداسيه من مونبيليه ـ وقد سبق الاشارة اليه فيما تقدم ـ نظرية عامة فى الجهاز العصبي ولكنها لا تفسر كل شيء وهناك أبحاث كل من بافلوف وما تيلنيكوف الروسيين ومن الانصاف أن نشهد بقيمة الابحاث العلمية الفذة التى قامت بها المدرسة الروسية خصوصاً فى باب الجهاز العصبي ولكن هذه الابحاث لاتفسر كل شيء بل نستطيع أن نقول ان اكتشاف بافلوف المتعلق بالاعمال المنعكسة المقيدة Reflex conditionelle قد عقدت الموضوع وزادته غموضا وان كانت قد دفعتنا بذلك نحو الطريق القويم ووجهتنا نحو الغاية الصحيحة

وهناك مسألة أخرى ظهر فى الأيام الاخيرة مالها من قيمة وتأثير وما يمكن أن يكون لها من التطبيقات العملية التى تبشر بتطور عظيم فى فن العلاج ذلك هو الظواهر المعروفة بالظواهر المغناطيسية فى الانسان والتى تظهرها بأجلى المظاهر وأوضحها عمليات التنويم المغناطيسي ثم نقل الافكار وقراءتها. فقد ظلت هذه الظواهر ممدودة بين حيل الدجالين وشعوذة المشعوذين الا أن العلماء لم يستطيعوا الاستمرار في اهمالها والنظر اليها على هذا الاعتبار لكثرة ماشوهد منها ولذيوعها بين أناس أمكننا أن نثق فيهم ولو الى حد ولقد أدى ذلك الى خروج هذه الظواهر من حدود مظاهر التحايل والدجل الى حدود المظاهر الفسيولوجية الطبيعية. والعجب أننا رغم تسليمنا بذلك لم نقبل بعد على دراستها الدراسة العلمية الواقية بل لم نحاول حتى تفسيرها تفسيرا علميا صحيحا اذ تكاد تكون كل ثروتنا فى هذا الموضوع محصورة فى عدة نظريات أشهرها نظرية الاستاذ جراسيه من كلية مونبيليه وقد سبق ذكره. ولو أن هذه النظرية قد أدت الى ماهو معروف من طرق الايحاء الذاتي والايحاء الاجماعى فى العلاج فانها لاتفسر حقيقة العلاقة بين الاجهزة العصبية المختلفة بل لا تكاد تتعرض لذلك الا اضطرارا

ولما كان للجهاز العصبي المكانة الاولي فى الجسم وكانت أهميته تفوق أهمية الاجهزة الاخرى فاننا نتوقع أن هذه الخاصية التى لم تدرس بعد والتى لم تعرف قوانينها بل ولا طبيعتها أو مايحدث من تأثيرها فى الجسم جديرة بأن تنير أمامنا اذا حققنا فيها بعض النجاح كثيرا من النواحى المظلمة من العلوم الطبية ومن يدرى؟ ربما كانت تخفى بين طياتها حلا لبعض المعضلات الحالية فى الطب الحديث

ويدعونا الى الاعتقاد بأن مستقبل الطب عامة والعلوم الطبية خاصة سوف يتأثر بما قد نحصل عليه من النتائج فى هذه الناحيه هي تعدد الابحاث فى هذا الموضوع ثم زيادة الاهتمام بأمر النواحى العلمية المختلفة وربما كان الدافع الي ذلك ماقدمنا من اتجاه نحو دراسة الجهاز العصبي نحو اكتشاف خواصه ووظائفه المختلفة فى مختلف الاوساط المشرفة على البحث العلمى حالا . على أن هناك سببا آخر لايمكن اهماله وينحصر فى أن هذه الدراسة مشتركة بين العلوم الطبية والعلوم النفسية (السيكلوجية) ولقد دعا التقدم السريع الذى حققناه فى المدة الاخيرة فى هذه الناحية من هذه الدراسات الى اثارة مسألة التنويم المغناطيسى ووضعها قيد البحث والملاحظة وكان طبيعيا عندئذ ان يدعو هذا الاهتمام بالمسألة من ناحية علماء النفس اهتماما يعادله ولم يلبث أن ناقه لاهمية الموضوع وشدة تعلقه بالعلوم الطبية بين الاطباء والباحثين منهم

بقى علم آخر من العلوم الطبية ونعنى به علم الميكروبات . ولقد عرف هذا العلم فى المدة الاخيرة عصر ازدهار وتقدم لم يكن يضارعه فيه علم آخر من العلوم الطبية بل حتى من العلوم قاطبة . ولقد تمكنت الابحاث في هذا الباب من كشف النقاب عن كثير من الحقائق المهمة والتى نضعها الآن فى الدرجة الاولى من الاهمية حتى دعا ذلك بعض المتحمسين لهذا العلم الي القول بأن أسس الطب فى الواقع لا تتعدى التشريح ثم علم الميكروبات . ولقد تقدمت الابحاث فى هذا العلم حتى بلغت الذروة وحتى ابتدأنا نرى أشراق الفلسفة الميكروبية ان صح أن نتكلم على هذا النحو. على أن امرا ظل فى كل هذه المدة ورغم كل هذه النتائج ورغم كل ذلك التقدم والنجاح الذى اصاب علم الميكروبات ، نقول ، ظلت النظرية الميكروبية للامراض محل بحث وتنازع بين العلماء

وقد اشتد هذا التنازع بين العلماء حتى انقسموا فيما بينهم إلى مدرستين مدرسة باستير وتجعل من الميكروب كل شيء أو على الاقل الجزء الأهم فى الامراض ثم المدرسة الحيوية وعلى رأسها أنطوان ريديه وغيرهم من أساتذة مدرسة مونبيليه وتجعل من الجسم أو التربة Terrain كل شيء فى الامراض ولا يلعب الميكروب فى نظرهم إلا دورا بسيطا بل الادهى أنهم يدعون ان الجسم يخلق ميكروباته . ولقد امكن فى وقت من الاوقات اسكات النظرية الحيوية واخفات صوتها واخماد أنفاسها إلى حد بعيد ولكن ذلك الاستبداد لم يكن ليستمر طويلا فعدنا نرى ونسمع من جديد تكرر الدفاع من هذه النظرية والدعوة الى مناقشتها واحيائها من جديد

نرى اننا وان كنا قد بلغنا الذروة تقريبا فى علم الميكروبات فاننا مازلنا نجهل جهلا يكاد

يكون تاما مسألة من المسائل الاساسية فيه وأغلب الظن أن الابحاث سوف تتعدد فى هذه الناحية وسوف تتابع حتى نصل منها إلى نتائج عملية نستطيع الركون اليها

وآخر العلوم الطبية هو علم التشريح المرضى ولقد كان فى استطاعتنا ادراج الكلام عنه فى أثناء الكلام عن علم الانسجة لولا خشية الغموض والابهام . وموضوع دراسة هذا العلم هو دراسة الانسجة فى حالة المرض لا فى الحالة الصحية على نحو مافى علم الانسجة وواضح أن كل مايمكن أن يحققه هذا العلم الاخير من نجاح وتقدم لابد أن يؤثر فى علم التشريح المرضى أشد التأثير فاذا تأملنا ما يمكن أن يؤديه تطبيق الطريقة الجديدة فى دراسة الانسجة ونعنى بها طريقة الاستاذ لامارك التى سبق الاشارة اليها رأينا عصر التقدم الذى يقبل عليه علم التشريح وما سوف يحققه من نجاح . على أن مشكلة المشاكل فى هذا العلم والتى لابد لنا من ابحاث متعددة متوالية للوصول فيها الى نتيجة حاسمة يمكن الاطمئنان اليها هي مسألة السرطان . فالسرطان فى الواقع يعتبر انه معضلة الطب الحديث عامة .ومشكلة المشاكل فيه على وجه التقريب أحد مواضيع دراسة التشريح المرضى.ونستطيع أن نقول ان حل مشكلة السرطان من ناحية التشريح المرضى لابد أن يؤدى بنا الى حل نهائى لمسألة السرطان عموما مع ما يتعلق بها من المسائل الاخرى الاضافية

والابحاث فى هذا الموضوع على قدر عظيم من الاهمية والكثرة وهي تدفعنا من مأزق الى مأزق ونحن نكاد نتخبط فيها تخبطا أعمى لا هدى ولا رائد فيه ولكن لابد من الاستمرار على ذلك وان كان شديد الايلام للنفس أن نستمر على السعى من وراء غاية معلومة معصوبى العينين ومكتوفى الايدى لان الغاية التى ننشدها تكاد تفوق الغايات الاخرى كلها مجتمعة . ان حل معضلة السرطان لم تعد بعد حلم علماء التشريح المرضى فقط بل انتقل منهم الى رجال الطب عامة

مستقبل الفنون الطبية

بينا فى ما تقدم طرفا عن مستقبل العلوم الطبية وقد تعرضنا فى عجالة الكلام عن مستقبل كل منها . ولما كان الطب علما وفنا فاننا نريد الآن أن نستعرض مستقبل الفنون الطبية فى عجالة كالسابقة حتى نستطيع بذلك أن نكون لانفسنا صورة واضحة من مستقبل الطب عامة وما يمكن أن تحققه الايام فيه من تقدم ونجاح

والفنون الطبية كما قدمنا قسمان قسم التشخيص ووسائله ويتضمن دراسة الامراض وعوارضها. ثم قسم العلاج ووسائله ويتضمن أيضا علم الصحة العامة وفن الوقاية أيضا

مستقبل التشخيص

لاشك ان الطريقة الكلينيكية وهى المبنيه على الملاحظة والمقارنة والمشاهدة ستظل الوسيلة الكبري فى تشخيص الامراض ومن عجب أن يعتز بها الاطباء وأن يفضلوها على ماعداها من الوسائل الاخرى رغم ضعفها الظاهر وسهولة الانخداع من طريقها

على أن النجاح الذي أصابته طريقة الكشف بأشعة اكس قد دفع الباحثين الى مداومة البحث فى هذه الناحية وكان من نتيجة ذلك التقدم المحسوس الذى أصابته هذه الطريقة . على أن البحث فيها قد تشعب الى طرق أخرى لاتزال فى مهدها وأغربها وسائل الكشف المختلفة باستعمال الوسائل الكهربائية المتنوعة من دراسة الامراض واظهارها .وأذكر على سبيل المثال ماهو معروف من القياس الكهربائي لدقات القلب وتسجيل ذلك ويعرف بطريقة Electric Cardiac Grapxhic ثم الكشف عن طريقة حساسية الاعصاب باستعمال القيادات الكهربائية المختلفة وقياس صرعة ردها Chronaxie ان هذه الابحاث لاتزال فى البداية ولا يبعد أن يأتى اليوم الذى يدخل فيه المريض الى مكتب الطبيب فاذا به يقيس مظاهر نشاطه المختلفة بمقاييس كهربائية أو غيرها مبينا بذلك علي وجه التدقيق مايمكن أن يكون فى جسمه من علل وأسقام

وهناك وسيلة أخرى لتشخيص الامراض ونعنى بها وسيلة التحليل الكيماوى . وهى طريقة قد ثبت قدمها فى الطب وتتجه الابحاث فيها نحو الآلية . ولذلك لانبعد أن نرى فى المستقبل فى عيادات الاطباء وآلات ذاتية تقوم بتحليل بول أو دم المريض وكتابة النتائج المطلوبة اذا قدمت لها العينيات اللازمة ودفع لها قطع معينة من النقود مثلا

سوف يتضاعف عدد هذه التحاليل وسوف نكتشف منها عدداً كبيرا فضلا عن تعميمها وتبسيط أجرائها على النحو الذى قدمناه

أما الوسائل الحيوية وتضمن التحاليل البكتريولوجية فأكبر ظنى أنها سوف تنكمش قليلا قليلا حتى لايبقى لها أثر الا فى بعض الحالات الخاصة . وذلك راجع الى أسباب كثيرة لعل أهمها أن نتائجها ليست قاطعة أو جازمة انها محل مناقشه مستمرة وتأويلات مختلفة . ربما اقتصرت هذه الطريقة فى المستقبل على تشخيص السفلس والدفتيريا والكوليرا فقط وعلى الاخص الاول من هذه الامراض

مستقبل العلاج

لعل مستقبل العلاج هو مايعنى جمهور العامة مباشرة فهو الصلة بينهم وبين الطب وهو فى نظرهم محك تقدمه ومقياس نجاحه وهذا الرأى يتفق وشيء من الحقيقة . فالطب علم عملي ومحور الدراسة فيه وان كان لايهمل الناحية العلمية البحتة يدور ويميل الي التطبيق العملى وأهم هذه التطبيقات هو العلاج

واذا تأملنا وسائل العلاج القائمة الآن رأينا أن اغلبها ينحصر فى الادوية حتى نكاد نخلط بين معنى كلمة علاج ومعنى كلمة دواء بل هما يعبران بالنسبة للغالبية من الناس عن شيء واحد ولذلك أسباب عدة لعل أهمها ذيوع الأدوية وانتشارها مما أدى الى كثرة الصيادلة أو صانعى الأدوية . وفى الحق ان فن الصيدلة قد أدى الي الانسانية منذ قديم الزمان خدمات جليلة وهو لا شك ما زال يؤدى لنا أعظم الخدمات أيضا وهذا يبرر قدمه وتأصله فى القدم فوق ذيوعه وانتشاره . ولكن لقد شاهدنا فى هذه الفترة الاخيرة نشوء طرق أخرى للعلاج غير ما كان معروفا من الأدوية وتنحصر فى المركبات الكيماوية أو المستحضرات النباتية أو الحيوانية الاخرى . ونعنى بهذه الطرق الجديدة الطريقة الميكروبية للعلاج . كان من الطبيعى جدا أن يصحب تقدم هذا العلم وبخاصة على النحو الذى بيناه أن يتناول طرق العلاج بالتحوير والتبديل وأن يستحدث فيها الشيء الكثير . فاخترعت الأمصال وتعددت الطرق فى تحضيرها وتجهيزها واخترعت الفكسينات واستعملت فى التطعيم والوقاية من الامراض ثم اخترعت الأنافوكسين واخترعها الاستاذ رامون من جاومه بارنست وذاعت ذيوعا عظيما دعا الكثيرين من المتحمسين له الى القول بأننا صرنا قريب نجد فيها الدواء لكل الامراض المعدية تقريباً . وقد سبق من بين المكتشفات الفذة العظيمة فى هذا الباب اكتشاف البكتربوفاج أو ميكروب الميكروبات وهو ميكروب يعيش على الميكروبات ويقتلها لاستخدامها كغذاء له . ولا يمكن المتصل بالابحاث فى هذا الموضوع حتى ولو عن بعد أن ينسى ذلك التهليل العظيم الذى استقبل به هذا الاكتشاف ثم ذلك التحمس الحار والاندفاع الشديد فى البحث فى هذا الميدان ونعجب أشد العجب كيف استطاعت السنين الاخيرة أن تخمد هذا التحمس وأن تخفت هذا التهليل وذلك الدعاء . وأغلب الظن أن عوادي الزمن قد تذهب بكل ما قدمنا من طرق العلاج أو على الاقل بالجزء الاكبر منها . ليست الادوية الكيماوية هى العلاج الحقيقى الناجم

الذى يمكن أن نطمئن اليه أشد الاطمئنان ويكفى أن نلاحظ ذلك التردد الذي يظهره الاطباء غالباً فى إعطاء الادوية لتعلم مقدار كراهيتهم الكامنة لها . لا شك أن الادوية التى نستعملها الآن على جانب عظيم من الاهمية والقيمة فى جسم الداء وعلاجه ولكنها فوق ذلك سموم لها أثرها فى أجزاء الجسم المختلفة وإن تضاءل وضعف فان الايام لابد تظهره يوما من الايام . ولقد دعا ذلك الاطباء فى العصور المختلفة إلي الاقلال بقدر المستطاع من الادوية والاعتماد على مقاومة الجسم نفسه ونحن نرى الدعوة إلي ذلك تتكرر فى فترات مختلفة من التاريخ العام لفن العلاج ونستطيع أن نقول الآن أننا فى احدى هذه الفترات وقد شجعنا على ذلك نشوء طرق جديدة فى العلاج لا تعتمد على السموم ولا على الميكروبات وإنما تعتمد على تأثير العوامل الفيزيكية المختلفة من حرارة وبرودة وكهرباء وضوء واشعاعات على الجسم

ولقد بدأت هذه الفترة ابتداء فعلياً باكتشاف تأثير أشعة اكس على خلايا الجسم ثم الاشعة البنفسجية وصادف وقوع هذا الاكتشاف فى مدة اشتد فيها تذمر الأطباء من الادوية وقلة مفعولها بها على أثر اكتشاف ما يعرف بالمناعة ضد أدوية معينة ثم عدم تأثيرها

والبعض منها بعد تناولها فترة معينة من الزمن ويطلق على هاتين الخاصتين Idiosyneravei و Into lerance . وأقبل الأطباء على اشعة اكس والاشعة فوق البنفسجية ثم اشعاعات الراديوم ثم التيارات الكهربائية المستمرة والمتقطعة ثم التيارات سريعة التردد على نحو ما هو معروف بالدياترمى ثم الامواج على اختلاف أطوالها أخيرا

ولم يقتصر التحويل من الناحية الكيماوية الميكروبية الي الناحية الطبيعية على استعمال الاشعة والحرارة والكهربائية انما تعداها الى استعمال الحركة والتدليك والماء كوسائل للعلاج وتعددت ابواب استعمالها وتوالت اعلان النتائج التي تبشر بنجاح عظيم فى هذا الباب مما جعل للاخصائيين فيها مكانة بارزة وشهرة ذائعة ونحن الآن لا نزال عند مهد هذه الطريقة التى لا تزال بعد رضيعاً على أن تعدد الابحاث فيها ثم اتجاه الافكار اليها اتجاها خاصاً يجعلنا نعتقد أن المستقبل لها ولاشك وأن العلاج بالطرق الفيزيكية Phiysic therapie اجدي واوفق للطبيعة من كل ما عداه وسوف يأتى اليوم الذى تستبدل به كل الادوية أو على الاقل معظمها بهذه الطرق الجديدة

وليست الطريقة الفيزيكية هى الطريقة الوحيدة التى تبشر لها الابحاث الحديثة بالمستقبل فهناك طريقة اخرى اكبر طرافة واحدث عهدا منها ويقصد بها طريقة العلاج النفساني . وربما

دهش القارىء لقولنا هذا أو أخذه منا على محمل الدجل والتهويش ولو تأمل قليلا لاقتنع هو بصحة ما أقول ولكفى نفسه مؤونة الاتهام . إن الملاحظات الطبية ملأى بالأمثلة والحوادث الغريبة التى تم فيها الشفاء بطريقة غير مفهومه وبدون استعمال أى علاج خارجى وقد كان ذلك ينسب إلى دجل بعض الدجالين وتهويشهم الى أن تناول هذه المعجزات بعض رجال العلم ممن لا سبيل الى اتهام أقوالهم أو الشك فيها ولقد دفع تكرر هذه الحوادث ثم تقدم الابحاث فى الجهاز العصبى والاتجاه الفكرى العام نحو هذا الموضوع الى نسبة هذه المعجزات الى التأثير النفسى أو عمل الجهاز العصبى فى الجسم على أن المسألة لم تتعد مجرد النسبة وليس هناك دليل قاطع عليها ولكن ثمة ابحاث اخرى قد أجريت على الحيوانات اجراها كثير من الباحثين وعلى رأسهم الاستاذ متا لينكوف الروسى قد أثبتت العلاقة الوطيدة بين الجهاز العصبى ومقاومة بعض الامراض ثم شفائها ولذلك لا يبعد أن يأتى اليوم الذي تتحقق فيه هذه النتائج بالنسبة الى الانسان عندئذ يأخذ العلاج النفساني المحل اللائق به بين وسائل العلاج المختلفه

لعل القارىء قد لاحظ الآن نقصا معيبا فما تقدمه ولعله بدأ يتساءل وماذا يكون من شأن الجراحة ؟ وربما ظن أننا لا نعتبرها وسيلة من وسائل العلاج والحق أننا لا نستطيع ذلك فلاشك أن الجراحة وسيلة للعلاج وان كانت الصيغة المستعملة فيها لذلك هي الهدم والبتر والاستئصال ولسنا نتوقع لها تأخرا أو تقهقرا فى المستقبل انا على العكس نعتبر أنها ستتقدم وستزدهر ازدهاراً عظيماً

أغلب الظن أن التحسين سوف يتناول الجراحة فى كل نواحيها فى الحواشى والصميم

أما ما يتعلق بالحواشى فنقصد به ما يمكن أن نحققه من تقدم فى عملية التعقيم ولقد بدت بوادر ذلك فى العام الماضى . فمعروف أن الجراح لابد أن يتأكد من تعقيم الادوات التى يستعملها فوق مكان الجروح وهو يشدد فى ذلك تشديدا عظيما فيحول دون توجيه أنفاسه الى الجرح بوضع كمامة كما يتحاشى أن يلمس الجرح الا بعد تطهير يديه ووضع قفاز معقم فيهما

ورغم كل هذه الاحتياطات كانت نسبة الموتى من أصحاب العمليات نتيجة لتلوث الجرح مرتفعة بلغت فى بعض الاحوال الى ٤٠ ٪ وقد كافح الجراحون ضد ذلك الخطر كفاحا طويلا الى أن وضع أستاذ براند يلى فى العام الماضى تصميما لغرفة العمليات يجعل كل ما فيها معقما بحيث لا يدع فرصة تسمح للميكروبات الموجودة فى الهواء بتلويث الجرح . ونحن لا نود أن نتعرض الآن

للوسائل المستعملة فى هذه الطريقة فان ذلك يدفعنا الى الخوض فى تفاصيل لايتسع لها المقام كما أنها تدخل فى حدود الخاصة فقط

وفى فن الجراحة مشكلة أخرى غير مشكلة التعقيم والمطهرات وهى مشكلة التخدير فمعروف أنه يجب أن يخدر المريض قبل اجراء العملية الجراحية والمخدرات المستعملة متنوعة متعددة كما أن وسائل ادخالها الى الجسم وتسليطها عليه متعددة مختلفة كذلك ولكن هذه المخدرات ايا كان نوعها أو طريقة استعمالها تشترك فى صفة عامة وهى أنها سامة وأن التخدير بها يعقبه تسمم خفيف فى الجسم يحسب له الاطباء الف حساب قبل اجراء العملية وجملهم يقتصدون فيها اكبر اقتصاد ممكن . مما دعا الباحثين الى البحث عن طرق للتخدير يكون فيها المخدر أقل ما يكون قدرة على تسميم الجسم قد أخفقت الابحاث الكيماوية فى ذلك فأحسن المخدرات الكيماوية المعروفة مازالت سما زعافا كاف لقتل الجسم لو زادت على كمية محدودة فوق أن أثرها السيء على الجسم قوى فعال

ولقد قام بعض الباحثين بالبحث عن طريقة فيزيكية للتخدير فجرب دارسونفال التيارات السريعة التردد ولكنه لم يحصل الى نتيجة يحسن الارتكان اليها والامل ضعيف فى ايجاد طريقة كهذه ولكنه فى الوقت الذى يسد فيه أبواب النجاح من الناحية الكيماوية أو الفيزيكيه يفتح الباب على مصراعيه من الناحية النفسية ويبدو فى الافق أمل بأن الانسان يستطيع على ما يظهر ان يتغلب على الألم وتأثيره السيء اذا أحسن استعمال بعض المواهب النفسية وأغلب الظن أن ما سنحققه من تقدم فى الدراسات النفسية من الوجهة الطبيبة سيحقق لنا نجاحا فى هذه الناحية الجراحية

هذا مجمل ما يمكن أن تحققه الجراحة من نجاح فيما يتعلق بالحواشى أما مستقبل الجراحة من حيث الصميم فانه يبشر بانقلاب عظيم على اكبر جانب من الخطورة

وتظهر بوادر هذا الانقلاب فما حققناه حتى الآن من نجاح فى عمليات الجهاز العصبى الرأسى فلقد كان فتح الجمجمة من قبل معناه موت محقق ولكنه الآن وسيلة لاجراء مختلف العمليات الجراحية . ولقد تعددت العمليات المختلفة التى من هذا النوع كما تعددت طرق اجرائها ولكنها جميعا على قدر عظيم من الخطورة والصعوبة فما زالت تكتنفها أخطار جسيمة وعقبات هائلة فوق ما يلزم لاجرائها من استعداد تام وحيطة وحذر شديدين يكفيان فى بعض الاحيان لاثناء عزم الجراح عن

القيام بالعملية رغم تأكده بأنها الأمل الوحيد فى نجاة المريض وهذه القيود متعددة لا نود الخوض فيها الآن فذلك تطويل لا مسوغ له . وان اكبر الظن أنها سوف تختفى شيئا فشيئا حتى تصبح جراحة الجهاز العصبى العام على مثال الجراحة العامة من حيث السهولة والبساطة وذلك بتقدم الوسائل الجراحية بزيادة معلوماتنا عن الجهاز العصبى نفسه

وبجانب ما يمكن أن نحقق من تقدم فى جراحة الجهاز العصبى العام هناك مجال واسع للتقدم فى الجراحة عامة وجراحة الجمال بوجه خاص وأغلب الظن أن هذا التقدم سيتناول الصميم بالتعديل والتحوير فنحن لا نعرف الآن من الجراحة الا جراحة الهدم والاستئصال ولقد جنينا من ورائها اكبر الفائدة ولكن التقدم العلمى الاخير جعلنا ننظر الى جراحة أخرى هى جراحة البناء سوف تكون أكبر فائدة وأعظم قيمة والأمثلة التى نعرفها الآن من هذه الجراحة الجديدة متعددة منها عملية فورنوف فهى زيادة فى أحد الاعضاء وتعتبر بمثابة بناء جديد أقيم اراء حائط متهدم متصدع رجاء تقويته واطالة بقائه . وهناك مثال آخر وهو استعمال الطعم العظمى Greffe Ossue فى جبر الكسور وواضح من هذه العملية أن الجراحة قامت فيها بجزء وافر من البناء بدل الهدم وأغلب الظن أن أمثلة البناء سوف تتعدد بحيث تصبح الجراحة على وجه العموم أميل الى البناء منها الى الهدم فاذا أصيب منا عضو سوف لا يكتفى الجراح باستئصاله انما سوف يعمد إلى عضو مماثل لا يعدم وسيلة فى الحصول عليه فيضعه لنا بدل العضو المستأصل ولا شك أن المجال الجراحى سوف يتسع عندئذ اتساعاً هائلا ما كان يخطر ببال من قبل

وستصيب جراحة الجمال من هذا التقدم حظا وافراً من النجاح بحيث تصبح بعد قليل من الامور الشائعة وبحيث تصبح فى متناول جميع أفراد الشعب لا الأغنياء فحسب وربما كان هذا هو أهم ما سيحققه الطب عموما من تقدم ونجاح وازدهار أن يجعل كل وسائله المتعذرة على الكثيرين الآن فى متناول جميع أفراد الشعب من الفقراء والاغنياء

ان مستقبل الطب زاهر يبشر بالخير العميم وهناك ميادين كثيرة للعمل والخدم العامة فى سبيل تقدم الانسانية ولقد بدأت الشعوب جميعاً تعرف ما للطب من أهمية وقيمة فى حياة الانسانية ولذلك اقبلت عليه اقبالا لا يعرف حدا ووالته تشجيعها بشكل يثير الاعجاب حقا ولكن من بين هذه الشعوب شعوب كثيرة لا ترى فى الحياة الا نضالا ممقوتا فى سبيل الجاه والعظمة

الـكاذبة وهي تسمى لذلك ولو أدى إلى الحاق الضرر بالانسانيه وانزال الدمار والخراب ببعض شعوبها . ولا يرى الاطباء فى ذلك الا معولا للهدم والدمار قد سلط على معاقل آمالهم فى البنـاء والتعمير.

جدير بنا أن نثق فى الطب وأن نوليه عطفنا وأن نعمل كل ما نستطيع لتشجيعه وتقدمه بين الشعب المصرى بهم ذلك جيدا وليته يسمي حقيقة لان يساهم فى هذا الميدان بسهم وافر . ان ما يمـكن أن يـكسبه لنا باحث واحد من مجد وفخار اذا ما حقق تقدما ولو بسيطا فى ناحية من النواحى العلمية أو الطبيـة ليفوق أضعاف ما يمـكن أن تكسبه جيوشنا وأساطيلنا فى المستقبل من انتصارات حربية أو فتوح وغزوات

رمسيس شحاته



الانسان والحضارة والفلسفة

للاستاذ أحمد فتحي

سبيل الانسانية الى مثلها العليا فى هذا العصر الراهن وعرة متشعبة المسالك ، تكثر فيها منعطفات مضللة وصخور عائقة هي من وحي مدنية العصر وآخذة بنصيب ضخم من الرفاهية المقرونة الى افتتان العقل وافتتان الشهوات ، فبينما يدعو المصلحون الى السلم العام ومعاونة الضعفاء ومساعدة العجزة والغاء الرق وغير ذلك من شواهد النزعات الخيرة ، تستبد بالامم القوية رغبات الاسترقاق فتغير على سواها من الامم الواهنة المستضعفة فى الارض ، وتعمى المادة بعض الناس فيتجرون بالرقيق والجواهر السامة فى غير مبالاة بما يصيب الانسانية على أيديهم من تدهور وانحلال .!

ولا يزال العقل المنجب يغذى أنصار الانسانية وخصومها على السواء كلا بوسائله وأساليبه التى تكفل له نجاح مسعاه ، فبينما يستعين أنصار السلام بقادة الفكر وأساطين الرأى فى مقاومة أخطار الحرب وتنحية شبحها المفزع عن طريق الشعوب ، يستعين المحاربون أنفسهم بالعقل العالم المستنير على إبادة خصومهم . وكما يقوم العقل بانهاض الدليل الساطع على بشاعة الحروب وشناعة نتائجها ، يقوم كذلك بغوة من علمه المكتسب بأبراز وسائل القتال الحديثة المبدعة فى شتى ميادين البر والبحر والسماء ، وكما يستنكر العقل الواعى المتزن تجارة الرقيق ، يفتق من ناحية أخرى الحيل لتنشيط سوق هذه التجارة ويعمل على نجاتها من رقابة الحكومات التى تكافحها وتناهضها . وغير ذلك من الامثلة كثير لايشمله حصر ، وغاية القول أن العقل كما يوحى بالطرق الايجابية الفعالة لأسعاد البشر يوحى أيضا بالطرق السلبية الهدامة لسعادة الانسان ! ..

وان المتأمل الجاد المستوعب فى القوى المهيمنة على اتجاهات العالم المتمدين خليق بحصرها فى ثلاثة عوامل ، هى العلم والفن والفلسفة . واذا تأملنا أمهات المسائل التى تشغل الفكر العالمي وتبلبل الخاطر الانساني عامة ، وجدنا أن هذه العوامل الثلاثة تحتضنها جميعا ، فاذا نظرنا الى مشكلة من مشاكل العصر الكبرى مثل الغاء الرقيق ، وجدنا أنها خاضعة لثلاثة العوامل المذكورة فى آن . فهى بحسبان أنها عمل على اقرار الحرية الشخصية والسعى وراء ترفيه جميع الافراد — ع‍كن اعتبار أنها من شواهد الفن الرفيع العالى ، وهي بحسبان أنها تنزه عن التفرقة بين طبقات

النوع الانساني وحيلولة دون خضوع بعض هذه الطبقات للبعض الآخر ، وسمو بالبشر جملة عن ان تستبد به المادة ، يمكن اعتبار انها من شواهد النظر الديموقراطي الذي يمت الى الفلسفه بنسب قريب ، وهي من جهة ثالثة يجوز اعتبارها من شواهد العلم ، بحسبان أنها تحرير للعقل وتحطيم لقيوده ورغبة الى بلوغه الذروة من النشاط وافادة المجموع . !

واذا أرادت الفلسفة الارستقراطية أن تقحم أنفها فى الموضوع مدعية أن بقاء الرقيق الابيض انما هو اقرار للنظم الطبيعيه وتذرع لتقليد الطبيعة فى التفريق بين افراد النوع الواحد واخضاع طبقات منهم لطبقات أخرى تحت تأثيرات قوامة على حياة الطبقات الخاضعة والمخضعة على السواء وجدنا أن من السخف يمكن أن يستعين المغرضون على أغراضهم بغلط قديم لم يتر عليه السلف وآن الوقت لأن يضيق الخلف بسخفه وحماقته . بغض النظر عن أن الطبيعه قد اقرته فى أزمان طويلة ، وبغض النظر أيضا عن أن النشاط العقلى انما كان رائده تقليد الطبيعه فى الخلق والابتكار فانه لايجوز بحال أن يكون هذا التقليد أعمي ينتظم الصالح والضار ، فان من الحماقة يمكان تسليط بعض أفراد النوع البشرى على بعضهم الآخر ، ومن السفاهة يمكان أن يضمن بعض الاحياء حياتهم بأفقاد البعض الآخر من هذه الاحياء حياته أو بعضا منها

وهكذا يشتد الحجاج حول أمهات المسائل التى تشغل أذهان الناس وما يلبث الصراع أن يعييهم فيفرون الى آثار الفن يلتمسون عندها التلطيف من حدة التفكير والتخفيف من أحزان الاخفاق فيه . ولا شك أن الفن قد أصبح بهذا الاعتبار وغيره لازماً لاغناء عنه للناس ، يتلهون به ويهربون اليه من احزانهم ويستعينون به على سآمتهم ويصيبون منه الوانا من رياضة الذهن فضلا عن السلوى والعزاء وتجسيد الاخيلة الرفافة فى آفاق أحلام اليقظة التى ينعم بها الناس الفينة بعد الفينة

« * »

لاشك فى أن العلم المبتكر ضرورة من ضرورات الحياة بوجه عام مهما بلغ من آثاره التى تناهض سلامة البشر بما تبدع من وسائل اهلاكه ، ومهما بلغ من جناية الرفاهية على الناس بتأثيراتها السلبية ورد فعلها الصحي والخلقي على السواء فانه لم يعد مستطاعا الرجوع بالانسان إلى معيشته الاولى التى تعتمد على الوسائل الفطرية التى كان يعتمد عليها الانسان القديم فى عصوره المتقدمة ، لانه أصبح من الضرورى له أن ينعم بآيات النشاط العلمى التى توفر له الراحة والرفاهية،

فانه لم يعد يطيق تحمل المشاق فى سفره على ظهور الدواب مثلا بعد تنعمه الطويل باتخاذ القطارات والاتومبيلات والطائرات فى أسفاره ، ولم يعد يحتمل سكنى الاكواخ بعد تعوده سكنى البيوت الفخمة التى تكفل له الراحة وتردعنه أخطار تقلبات الجو ، ولم يعد قادرا كذلك على اصطياد الوحش بهيئه لغذائه بعد أن ألف شراء لحومه وطيوره من السوق فى سهولة ويسر ، ولهذا تثبت لدينا استحالة تنازله عن مستحدثات العلم التى تقوم عليها حياته الجديدة المترفة ، ولكنه يبدو فى كثير من نواحى الحياة أن الانسان قد أصاب من هذه المبتكرات فوق الغاية ، وازاستزادته منها تبدو سرفا فى الرغبة إلى الرفاهية لا مبرر له ولا طائل وراءه ، بل قد يكمن وراءه كثير من الاضرار قد يكون أهونها زيادة العاطلين وظهور أمراض صحية واجتماعية جديدة ، وزيادة فى الحذر فى المعاملات السياسية والاقتصادية قد تؤدى إلى استمرار الحرب ، فضلا عن اعتساف الارستقراطية بين طبقات بعينها من الشعوب

نعم ، يلوح ان الانسان قد أخذ من المدنية قسطه الاوفى ، وأصاب من خيراتها وشرورها جميعا حتى ملأ معدته بحيث يخشى عليه من التخمة ان زينت له نفسه طلب المزيد ، واذا بدا هذا الرأى غريبا بعض الشىء ومناقضا للسائد المألوف فى أنحاء العالم المتمدين ، فان دعامته النظر الى ويلات البشر التى جرته اليها الحضارة الراهنة . فما زالت الآلات تقذف بالآلاف من العمال كل الى عرض الطريق لتعضهم الفاقة وتحطمهم البطالة . وما زالت الحياة المترفة ترزق نفسها كل يوم ضحايا جديدة ، وآلتهانى ذلك ان الانسان قد أصبح من الضعف عن احتمال الشظف وخشونة العيش بحيث يؤذيه أكبر الاذى أن يمسه الضر وتنال منه ضوائق العيش !

على أن الاحزان التى يحتشد لمعاناتها أهل هذا العصر لاتقف عند الحد الذى يمكن فيه الترفية عنهم بالتماس السلوى والتسرية عند التصوف مع هذه الاحزان بل ولا فى أماكن اللهو والمجانة ، ولا الاسفار البعيدة ورحلات الصيد وغيرها من رياضة الجسد ، فان الضمير العام المستيقظ الشديد الانتباه لا ترضيه من حضارة العصر أشياء يألم لها أشد الالم ولا يملك لها دفعا ، ومن ثم يلازمه ابتئاس وتأزم العليل الذى لايجد وسيلة يلتمس لدائه منها طبيبا يشفيه ، ولا ريب فى أن التمادى فى التحضر معناه زيادة هذه الاحزان ، بحيث لانستبعد مطلقاً أن يحين الوقت الذى يلازم فيه التقطيب كل جبين ، وتفارق البسمة كل شفة . وهذه نتيجة لما بين أيدينا من مقدمات قد يتلخص معظمها فى قيام العلائق بين الناس على غير أساس من الحب والميل الاجتماعى الفطرى ، بل على

انقاض ذلك من وسائل النفع المادى وارضاء نزوات الاجساد ونزغات الشيطان !

هذه خواطر سريعة لم يسيطر فى تدوينها سوى النظر الخير النزاع الى الصالح العام دون نظر الى فوارق اللون والدين والسلالة وغيرها . ولن يفوتنا التنبيه الى الجهود التى تبذل فى الاشتغال بمعالجة مسائل الفلسفة البحتة . فان لها فى بعض الاوساط الخاصة مقاما أي مقام ، وما نرى الا أنها جهد هباء ، بعكس الاشتغال بمسائل السيكولوجية وما اليها من البحوث المتصلة بالحقائق الانسانية التى لم يزل يعتورها بعض الغموض والاستغلاق . فان للعالم الآن مايشغله ضنا بجهده ووقته عن مضيعة مناقشات سخيفة لا طائل تحتها فى قضايا لايمكن أن ينتهى بحثها الى نتائج حاسمة تفيد النوع الانسانى ، وحتى اذا وصل الباحثون فيها الى مثل هذه النتائج ، فلن يكون لها من الخطر مايحول تيار الفكر الانساني بأى حال ، وعلى هذا فمن المستطاع تقرير انه لم يعد لامر الفلسفة البحتة سوى القيمة التاريخية باعتبار أنها كانت رياضة للعقل الآدمي قادته الى هذه الغايات الباهرة فى مختلف العلوم والفنون والآداب





هل الكون سائر الى نهاية

لاستمرار الكون لابد من وجود طاقة لان كل الظواهر الطبيعية بما فيها الحياة يتوقف وجودها على وجود الطاقة ويمكن تعريف الطاقة علميا بأنها القدرة على أداء عمل والطاقة لايمكن أن تفنى أو تستحدث وهي على أنواع فمنها طاقة الحركة والحرارة والكهرباء وكل هذه الانواع لها القدرة على أداء عمل

وأنواع الطاقة هذه يمكن تحويلها من صورة الى أخرى فيمكن تحويل الطاقة الميكانيكية الى حرارة وكذلك الحرارة الى طاقة ميكانيكية . فمثلا كمية معينة من الحرارة الناتجة عن احراق مقدار من الفحم فى آلة بخارية تعطى مقدارا ثابتا من الطاقه الى الصورة الاخرى لاتصحب هذا التحويل فقد شيء من الطاقة انما يختفى جزء منها وهذا الجزء المختفى لايمكن الاستفادة منه لانه لايمكننا أن نستخلص منه عملا . ودائما تكون هذه الطاقه المختفيه على صورة حرارة

فمثلا البندول المتذبذب لابد أن يسكن بعد مدة من الزمن ولكن طاقة حركته لم تفن انما جزء منها استعمل فى مقاومة الاحتكاك الناشىء فى مركز تعليق البندول وقد نشأ عن هذا الاحتكاك حرارة والجزء الآخر استنفد فى مقاومة جزئيات الهواء التى يصادمها فى طريقه فى أثناء الحركة وينتج عن هذا التصادم حرارة لأن الحرارة ماهى الا زيادة حركة جزيئات الجسم فالبندول بمصادمة جزيئات الهواء قد رفع قليلا من درجة حرارة الهواء . وفى كلتا الحالتين تشع الحرارة في الفضاء وتصبح على صورة طاقة مختفيه لايمكننا أن نستخلص منها عملا

اذن نستنتج قاعدة مهمة وهي انه عند تحويل أى صورة من صور الطاقة يختفي جزء من الطاقه وهذه الطاقة المختفية لايمكن أن نستخلص منها عملا أى أننا لايمكننا أن نستفيد منها شيئا

فاذا كان هناك جسمان مختلفان في درجة الحرارة فان الحرارة تسرى من الاعلى درجة الى الاقل درجة . وسريان الحرارة فى هذه الحالة يمكننا استخدامه فى استخلاص عمل ما أما اذا كان هناك جسمان متساويان فى درجة الحرارة فلا تسرى بينهما الحرارة . وفى هذه الحالة لايمكن

أن نستخلص عملا . فلنفرض غرفة بها عدد من الاجسام المختلفه فى درجة الحرارة فاذا تركت هذه الاجسام فلا بد أن يأتي وقت تصل كلها الي درجة حرارة واحدة وفي هذه الحالة لا يمكننا أن نستفيد بعمل من هذه الاجسام المتساوية فى درجة الحرارة

فبهذا الشكل اذا تساوت جميع الاجسام الموجودة فى الكون فى درجة الحرارة فان كل الطاقة تختفى ولا يهم سواء أكانت كل الاجسام فى درجة حرارة عاليه أم درجة حرارة منخفضة انما المهم حتى نستفيد بعمل ما أن يكون هناك سريان الحرارة من الاجسام المرتفعة فى درجة الحرارة الى الاجسام المنخفضة الدرجه . وكل الظواهر تدل على أن الكون سائر الي هذه الحالة التي تتساوى فيها جميع الاجسام فى درجة الحرارة وبذا تتحول كل الطاقه الى طاقة مختفية لا يمكن الاستفادة منها بعمل ما

وان تحول الطاقة الموجودة فى الكون الى طاقة مختفية يزداد يوما بعد يوم أو بعبارة أخرى يمكننا ان نقول أن الطاقة الكليه الموجودة فى الكون تختل اى أن الكون سائر الى الفناء فانه لابد أن تصل الي وقت تتساوى فيه جميع الاجسام فى درجة الحرارة وبذا تنعدم الحياة واذا لم يكن هناك عمليه تتجدد بها هذه الطاقة فان الكون لا بد ان يتلاشى فالشمس والارض وكل الاجسام الاخرى تشع حرارة وهذا الاشعاع لا يمكن أن يستمر الى مالا نهايه لان الحرارة تميل لان تجعل جميع الاجسام فى درجة حرارة واحدة

ويستحسن أن نعبر عن اختفاء الطاقة بعدم النظام فاذا قلنا ان الطاقة المختفيه تزداد فهذا معناه أن نظام الكون يزداد اختلالا ويمكننا أن نقول اجمالا أن الكون يميل لان تتحول جميع الطاقة الموجودة فيه الى طاقة حرارة والحرارة ما هي إلا حركة غير منظمة لجزيئات الجسم بعكس طاقة الحركة التى هى عبارة عن حركة منتظمة فى جزيئات الجسم

فاذا سقط جسم «حجر مثلا» فكل جزيئات الحجر تتجه نحو الارض في نفس الاتجاه وبنفس السرعة فاذا قابل هذا الحجر سطحا أملس فان حركة كل الجزيئات تنعكس وبذا يرتفع الحجر مرة أخرى فحركة الجزيئات لم يختل نظامها انما عكست فقط أما اذا صادم هذا الحجر سطحا خشنا فان نتيجة احتكاك الحجر بالسطح الخشن ينتج عنه أن جزءا من طاقة الحركة يتحول الى حرارة أى يحدث اختلال فى حركة جزيئات الجسم وطاقة الحركة الباقية لا تكون كافيه لأن ترفع الجسم الى علوه الاول

وبذلك نرى أن كل تحول فى الطاقة يصحبه زيادة أختلال الكون الذى كان امسى أتم نظاما منه اليوم

« * »

هنالك قانون يشبه قانون بقاء الطاقة وهو قانون بقاء الكتلة . فان مجموع الكتلة الموجودة فى الكون ثابت لايتغير وأن المادة لاتفنى . فاذا أحرقنا أى جسم وجمعنا ناتجات هذا الاحتراق فاننا نجد ان هذا الوزن يساوى وزن المادة التى احرقت . ولكن نظرية النسبية الآن تدغم هذين القانونين قانون بقاء الطاقة وقانون بقاء الكتلة ونعتبر أن للطاقة كتلة وأن أى قطعة من أى مادة عبارة عن طاقة جامدة غير ظاهرة . وقد كان يظن قديما انه اذا سخن جسم فان وزنه لايتغير ولكن الحقيقة أن وزنه يتغير تغيرا طفيفا والسبب فى ذلك أن الحرارة كأى نوع من أنواع الطعام لها وزن. وان وزن طاقة الحرارة التى أعطيناها الجسم قد أضيفت الى وزن الجسم وكذلك الجسم المتحرك يزن اكثر من وزنه فى حالة السكون . وهذه الزيادة فى وزن الجسم المتحرك لايمكن ادراكها الا حالة السرعة العظيمة ويمكن اختبار هذه الزيادة فى وزن الالكترونات السريعة الحركة كالالكترونات التى تنطلق من الراديوم . وقد دلت التجارب على وجود زيادة فى وزن الاجسام المتحركة . فالجسم المتحرك بسرعة تساوى نصف سرعة الضوء يزيد وزنه بمقدار ١ على ٧ من وزنه والجسم المتحرك بسرعة تساوى تسعة أعشار سرعة الضوء يزيد وزنه بمقدار مرتين ونصف من وزنه الاصلى اما الجسم المتحرك بمقدار ٩٩ على ١٠٠ من سرعة الضوء فان وزنه يزيد سبع مرات من وزنه فى حالة السكون وعلى هذا القياس فان الجسم اذا تحرك بسرعة تساوى سرعة الضوء فان وزنه سيبلغ مالا نهاية وهذا من الاسباب التى تدعونا ان نعتبر أن سرعة الضوء هى اقصى سرعة فى هذا الكون

« * »

ويمكن ايضاح أن الطاقة لها وزن بدراسة ذرة الهليوم . فذرة الايدروجين تحتوى بروتونا واحدا والكترونا واحدا ووزن ذرة الايدروجين يعزى الى وزن البروتون لأن وزن الالكترون يمكن اهماله بالنسبة الى وزن البروتون وفى ذرة الهليوم توجد ٤ بروتونات ولذلك كان من المنتظر أن تكون ذرة الهليوم تزن ٤ أضعاف وزن ذرة الايدروجين ولكنه قد وجد أن ذرة الهليوم أقل من ٤ أضعاف وزن ذرة الايدروجين بقليل

ونظرية النسبيه توضح ذلك بانه عندما يتحد ٤ بروتونات لتكوين ذرة الهليوم فانه ينطلق مقدار من الطاقة وهذه الطاقة المنطلقة تأخذ جزءا من الوزن معها فتكوين ذرة الهليوم يوضح تحويل المادة الى طاقة فان ذرة الهليوم قد فقدت جزءا من مادتها التى اشعت الى الفضاء على شكل طاقة ورغم أن هذا التحويل بسيط فانه ينتج منه طاقة هائلة فاذا أمكننا أن نبنى أوقية من ذرات الهليوم فيمكننا أن نحصل على طاقة تحرك آلة بخارية قوتها ١٠٠ حصان يمكنها أن تعمل باستمرار مدة ٨ سنوات

* * *

معظم علماء الفلك يرون أن هذا الانحلال يحدث . فالنجوم تشع باستمرار كيات هائلة من الطاقه وكذلك الشمس تفقد ٣٦٠ الف طن من وزنها يوميا وهذا الانحلال يعتبر انحلالا تدريجيا بالنسبة الى عمر الكون العظيم ولكن يمكن للشمس أن تستمر على هذا الاشعاع نحو ٥٠ مليون مليون سنه أخرى





عدتنا فى تنازع البقاء

صرخة من القلب عساها تصل إلى القلوب

للاستاذ رمسيس شحاته

بعد قليل ينزاح عن صدورنا كابوس الاستعمار الذى ظل جاثما فوقها زهاء نصف قرن اشبعنا فيها إذلالا وإستعباداً وتحقيرا . وأغلب الظن أننا سنعمد إلى الاستنشاق العميق بما فيه من شهيق وزفير بدل أن نتنفس الصعداء رويداً فى التنفيس عنا واسترجاع مكانتنا واظهار سلطاننا بين الآمم وربما كان لنا فى ذلك بعض العذر أو قل ان طبيعة البشر من حب الظهور والمبالغة ستدفعنا الي ذلك قسرا

اذا صح ماقدمنا ولا أخاله الا كذلك فأغلب الظن أن الشئون العسكرية وهى النقطة الحساسة فى السياسة الدولية الحاضرة سوف تستغرق جل انتباهنا وعنايتنا ان لم تستوعب كل جهودنا فى السنين القليلة الآتية . فنحن نطمع طمعا تأصل فى نفوسنا حتى تشربت به كل أفكارنا أن نستعيد مجدنا الحربى بكامل عدته ولا أظننى مبالغا ان قلت أن الشباب المصرى قد بدأ يتنفس الآن عبير امبراطورية مصرية على نحو الامبراطوريات الفرعونية أو على الأقل على نحو امبراطورية محمد على التى لم تتحقق ويلهب هـذه الآمال مانراه من الطمع والشراهة من الدول الاخرى التى تريد أن تقضى على وجودنا واستقلالنا من جـديد بأن تضمنا الى امبراطورية رومانية أو من يدرى ربما كانت امبراطورية يهودية . وهذا الخبل الذى أصاب عقول بعض الساسة وتسرب منها الي عقليات بعض الشعوب المتمدينة فجعلها تهذى بحديث الامبراطوريات وتخطب فيها الخطب الطويلة الرنانة يزيد فى حاجتنا الى افهام العالم حتى ولو أدى ذلك الي اصطدام طاحن . أننا أسياد فى بلادنا وأننا قوة لايستهان بها قد حان الحين لان نملى بدورنا ارادتنا علي القدر فينصاع لها انصياعا

فاذا أضفنا الي ثرثرة موسولينى ووعده الشعب الايطالى بامبراطورية رومانية قد رسم حدودها فاذا بها تضم مصر بين أجزائها ثم تذكيره الشعب المتحمس بنفس هذا الخيال والوهم يوم أن أعلن انتصاره على الحبشة بقوله ان هـذا الانتصار ليس الا خطوة لابد أن تتلوها خطوات فى سبيل

الغاية ، المنشودة ، أقول اذا أضفنا الى ثرثرة هذا العاهل وما يكنه الانجليز من المقت والكراهية له ولشعبه ولسياسته وما يتمنون له من اخفاق محقق وفشل ذريع أدركنا بسهولة وعلاقتنا بالانجليز لاتخفى على أحد بعض العوامل والنوازع التى سوف تتنازعنا وبعض المغريات التى سوف تغرينا وتجعلنا نجرى الى التسلح مهرولين واضعين كل آمالنا وثقتنا فيه

وربما كنا على حق فى هذا المسلك مادامت المدافع هى التى تتكلم اليوم بألسنة الشعوب وما دام فى العالم ساسة على نحو ذلك النفر من المستبدين ليس لكلمة الشرف فى نظرهم أى اعتبار أو ليس للتعهدات الدولية من قيمة ومادام الحديد قادرا على تعديلها على الغائها . أقول اننا سنكون على حق فى هذا التسلح بل حتى فى المبالغة فيه إلى الحدالذي تسمح أو لاتسمح به مواردنا الطبيعية فأذى الاستعمار من جديد مع مايلحقه من ذل وعار ليزيد اضعافا مضاعفة على أذى الخراب المالى وضرره

ولكن هناك حقائق معينة جديرة بأن نتأملها وأن نتمعنها فانها لاشك جديرة بأن توضح لنا السبيل القويم إلى التسلح

وأول مايخطر على بالنا عند التفكير فى التسلح هو أن مصر ستلجأ إلى فرصة الخدمة العسكرية وجعلها اجبارية على نحو ماتفعل فرنسا وألمانيا مثلا . وأنها ستستطيع بذلك أن تجند مليونا أو أكثر من الشبان اذا احتاج الامر الى التجنيد وصار الوطن فى خطر . ومهما تكن النظم التى ستتبعها لذلك فان مسألة المسائل على مايظهر ليست تدريب الشبان على الحرب وأعمال القتال ثم اعداد الضباط والقواد أو بالجملة توفير الجيش العامل من حيث الافراد انما المشكلة هى فى الواقع تسليح هذا الجيش وتزويده بالآلات والمعدات الحديثة بحيث يستطيع أن يصمد للغارة وأن يرد على وسائل الهجوم بدفاع من جنسها على الاقل ان لم يفقها . ولكن من أين لنا بهذه المعدات ؟ من أين لنا بالمدافع والبنادق والقنابل والرصاص ؟ من أين لنا بالمراكب الحربية والغواصات والديناميت ؟ من أين لنا بالطائرات والغازات السامة والقناعات الواقية ؟ والجواب الطبيعى على هذه الاسئلة جميعا هو « الاستيراد من الخارج » وعبارة الاستيراد من الخارج هذه سهلة النطق على اللسان سريعة الافلات من الشفاه ولكنا لو تأملناها قليلا لرأينا انها تتضمن اخطارا جسيمة يجب أن نحسب لها من الآن ألف حساب

من الطبيعى جداً أن نقول حالا ان الاستيراد من الخارج هو الأمل الوحيد الذي نملكه

فنحن أمة زراعية ليس للصناعة فيها شأن يذكر كما أننا أمة جاهلة ليس لنا بعد قبل على تحمل ماتتطلبه الصناعات الحربية من مجهود على متواصل وبحث لاينقطع وإن رغبنا فى ذلك أشد الرغبة أعوزتنا المعرفة . ولكنه من الطبيعي جدا أن نحسب الف حساب لخيانة « الخارج » وغدره ومن الطبيعي الف مرة ان نقدر ذلك على تقدير الامر الواقع لأن أحدا لايعرف ماذا يخبيء الغد لنا من مفاجئات . إن المحالفة التى تربطنا بالانجليز ليست ضمانا ضد عوادى الزمن وليس فى العالم من يستطيع أن يضمن لنا سلامة نية الانجليز وصداقتهم فى المستقبل فوق قدرتهم على امدادنا بما نحتاج اليه من الاسلحة والذخائر للدفاع عن كياننا إذا لزم ذلك . فمن يدرى ماذا يكون مركز انجلترا إذا عصفت العاصفة يوما وأخذتها على غرة ربما لاتجد عندئذ من هذه المواد مايسد حاجتها وحتى لو وجد لديها ما يكفينا واياها وسلمت نياتها من نحونا فربما تعذر عليها ارسالها الينا والمسافة بيننا شاسعة والطريق وعر شائك

ليس ماتقدم ضرب من الوهم أو التطير انما هي حقائق جديرة بالتأمل والتحقق . ورب معترض يقول ، دع عنك هذا الحذر وتلك الحيطة البالغة فانهما مدعاة لليأس والقنوط وأنت تعلم ألا سبيل لنا الى تحقيق مانرمي اليه فى هذه الناحية من استقلال وحرية . ولو لم أكن أرى رأيا غير هذا الاعتراض ولو لم يكن لى أمل أقوى من ذلك اليأس والقنوط لما دعيت الى هذا الحذر ولما نبهت الى وجوب الحيطة والاستعداد للطوارىء

انى لا أنكر أننا أمة زراعية ليس للصناعة فيها شأن يذكر بل أسلم أننا لو عهدنا الى الصناعة لتعذر علينا ذلك لنقص مواردنا الطبيعية من هذه الناحية ولكنى لا أسلم أبداً أننا لانستطيع اذا صحت عزيمتنا أن نعمل عملا فى هذا الميدان بل أعتقد أننا بقليل من المثابرة والحنكة نستطيع أن نحقق الاستقلال الذى نشير اليه والحرية التى نطمع فيها

ولو رجعنا الى التاريخ قليلا لوجدنا الامثلة واضحة فيه فقد كان لمصر فى عصر محمد على أسطول ناوأت به أساطيل اليونان والترك كما كان لها فى ذلك العهد معامل لصناعة الاسلحة والذخائر .
صحيح ان الاساطيل وقتئذ وكذلك الاسلحة والذخائر كانت فى حالة شبه بدائية بسيطة مما سهل اصطناعها على مصر ولكنا لو تأملنا أيضا حالة مصر فى ذلك العهد وحالتها فى الوقت الحاضر لرأينا أننا نستطيع بنفس المجهود الذى صرفه أجدادنا بل بأقل منه أن نصطنع الاسلحة الحديثة كما اصطنعوا هم أسلحتهم وذخائرهم . وليس محمد على مهما بلغ من الحنكة والسياسة أبعد نظر او أكثر

نفاطا وهمة واخلاصا لهذا البلد من زعمائنا الحاليين . صحيح أن الاحوال قد تغيرت وأصبحت أمور الصناعة الحديثة أكثر تعقيدا وصعوبة منها فى عهد محمد على ولكنه أمر لاشك فيه أيضا أن مصر شعبا وعقلية قد تغيرت وسايرت الزمن فى تقدمه

ويخيل الىّ أن القارىء يحتج على ماتقدم بأنه كلام نظرى محض لايقدم ولا يؤخر وأنا أنتقل به من هذا الكلام النظرى الى حياة العمل والنشاط لاعرض عليه طرفا من نواحيها

نحن فى حاجة ملحة قوية الى أسطول جوى وأسطول بحرى ووحدات هذه الاساطيل هي الطائرات والبواخر الحربية وليس لصناعتهما أي أثر فى بلادنا الآن فكيف اذن نستطيع الحصول عليها الا باستيرادها من الخارج ؟ وما دمنا نرغب عن ذلك فالحل الوحيد هو أن نعمد الى صناعتها ولصناعه الطائرات والسفن الحربية لابد لنا من أشياء ثلاثة أولها المعامل التى تصنعها وما يتطلب ذلك من آلات . وبعد ذلك يأتى الاشراف الفنى وما يتطلبه من رجال أكفاء ذوى خبرة ودراية فى الشئون الصناعية . وأخيرا يأتى دور المواد الخامة وأهمها المعادن . ونحن لاندعى أن مصر تتوافر لها أى هذه العوامل فليس لدينا من المصانع شىء كما أن الاشراف الفنى والخبرة الصناعية لاتتوفر فى كثير فى أبنائنا بل نحن نسلم جدلا أنها معدومة بالكلية كما اننا فقراء ومدقعي الفقر من حيث المعادن والمناجم عموما ولكنى أعتقد مع كل ذلك أن قيام هذه الصناعات ليس محالا بل هو أمر ميسور

ماذا يكون لو اننا عمدنا الى اقامة المعامل وتزويدها بالآلات اللازمة وفى استطاعتنا أن نستعين فى ذلك بخبرة المهندسين الاجانب ممن تفوقوا فى تلك الصناعات ؟ وليس من شك فى أن هذا أمر ممكن وليس أسهل بعد هذا على صحة ماتقول من أن نذكر أن أفرادا من الشعب المصرى استطاعوا ذلك والامثلة تتكرر يوما بعد يوم مؤيدة هذه النظرية وهى اننا نستطيع استيراد الآلات اللازمة من الخارج واقامة المعامل لسد بعض حاجاتنا . واذا كان هذا الامر ممكنا بالنسبة للطائرات والمراكب الحربيه والمدافع وغيرها . فالشىء واحد وان تعددت مظاهره . ولقد سمعنا ان مهندسين من الالمان قد أنشأوا فى أديس أبابا معملا لعمل الطائرات فاذا كان ذلك ممكنا فى الحبشه فكم يكون ممكنا فى بلاد كمصر

واقامة هذه المعامل لاتضمن لنا موردا فى وقت الحاجة فحسب بل هى ادعى مايكون الى القفز بالصناعة المصرية خطوات الى الامام . فى مصر ثروات طبيعية هائلة لم تستغل بعد وقد حان الوقت

لاستغلالها فالى متى سنظل نياما . فى مصر منابع للقوى وفى مصر يد عاملة وفى مصر شعب مضح قد بذل من دمائه الزكية كل ما استطاع واشترى حريته بثمن غال من هذه الدماء وهو مستعد فى كل لحظة أن يعمل بل هو أشوق مايكون الى الطفرة بالصناعة الوطنية والنهوض بها

ولا تقتصر فائدة اقامة المعامل على ضمان حاجة البلاد والنهوض بالصناعة انما تتعداها الى مشكلة المشاكل فى مصر وهى أجور اليد العاملة . فى مصر ثروة هائلة من هذه اليد العاملة ومع ذلك فهى مهملة أشد اهمال ولست أعرف بلدا انحطت فيه أجور اليد العاملة الى الحد الذى وصلت اليه فى مصر على أن تكاليف الحياة لاتتفق وهذا النقص المريع فى أجور اليد العاملة ويرجع ذلك الى الامتيازات من ناحية وجشع أصحاب رؤوس الأموال من ناحية أخرى ثم قلة الاعمال والمصادر الذى تستخدم فيها هذه اليد العاملة مع عدم وجود تشريع يقيها شره أصحاب الاعمال وتعسفهم . ونحن اذا أنشأنا المصانع أوجدنا بذلك عملا لهذا العدد الوفير من العاطلين ونهضنا بأجور اليد العاملة مما لاتخفى فائدته العامة على أحد

نرى أننا بانشاء المصانع نضرب عصفورين بحجر واحد فنحن نضمن سدادحاجتنا كما نفيد من وراء انشاء هذه المصانع إفادة مزدوجة : ترقية الصناعة وتحسين حال الصانع وترقيته ثم زيادة الثروة العامة باستغلال الموارد الطبيعية التى لم تستغل بعد

وليس المهم هو أن ننشىء المعامل انما هو وفرة انتاجها وليس من الممكن ضمان ذلك الانتاج الا بتوفير الاشراف الفنى لها وهذا الاشراف الفنى مهما اسرف المغرضون فى تقدير نفقاته وتنظيمها أقل كلفة مما لو عمدنا الى الشراء والاستيراد من الخارج فالمعامل التى سوف تبيعنا المدافع سوف تبيعنا معها أجر الاشراف الفنى الذى احتاجته صناعتها . ان الاشراف الفنى متوافر فى البلاد الصناعية وزائد على الحاجة وفى استطاعتنا أن نستفيد من خبرة المعامل الكبرى لقاء أجر زهيد هذا اذا لم نقيد بقيود خاصة . ان بين المهندسين من الالمان والفرنسيين والانجليز والامريكيين واليابانيين وغيرهم من ذوى الخبرة والدراية بالشئون الصناعية من نستطيع أن نركن الى خبرتهم ودرايتهم ومن نستطيع استجلابهم واستخدامهم بأجور تتناسب مع مجهوداتهم وكفاءتهم لا أكثر ولا أقل . هذا اذا كنا أحرارا فى الاختيار وجعلنا المسألة مناقصة دولية حرة وليست مناقصة صورية كما كان العهد فى حالات الخبراء الفنيين واشباههم مما لم تكن تدعو الحاجة اليه ومما لم يكن هناك

مبرر له ولسنا أول من يلجأ لذلك فان روسيا وتملك الآن من مصانع الطائرات والسفن العدد الوفير قد استطاعت ذلك بفضل استعانتها بالمهندسين من الالمان ورجال الصناعة فيهم والغريب أن روسيا الآن تهدد المانيا وتعتمد فى تهديدها هذا على قوة هذه المعامل واستعدادها

والى ماتقدم فاننا بايفاد البعثات العلمية وبتحويل دفة الهندسة الى مايجب أن تكون عليه من العناية بالشئون العملية سوف نستطيع خلال سنين قلائل أن نتحمل بأنفسنا كل الشئون وأن نستغنى بهؤلاء عن الاجانب

بقيت بعد ذلك مسألة الخامات ولعل القارىء يعتقد فى نفسه أن هذه هى الصخرة التى ستحطم كل آمالنا فنحن بلد على أشد مايكون من العوز والفقر فى الثروة المعدنية وأنا أسلم جدلا بذلك وان لم يكن قد أقيم بعد الدليل القاطع على صحته ولكنى اعتقد ان هذا الفقر ليس كافيا لاقصائنا فنحن وان كنا فقراء من هذه الناحية أغنياء من نواح أخرى . وليس فى العالم دولة واحدة تستطيع أن تستغنى بثروتها المعدنية عن بقية الدول ومن هنا نشأ سوق المقايضة وتبادل الخامات فلماذا لا نساهم نحن فى ذلك ؟ نستطيع أن نعطى العالم قطناً وبصلا وحبوبا ومحاصيل أخرى كثيرة فى مقابل ما نأخذه منهامن حديد ونحاس والمينيوم وفحم مثلا وهاهى فرنسا بلد الصناعة فيها شأن يذكر ولها امبراطورية واسعة مترامية الأطراف ومع كل ليس لديها الكفاية الا عدد ضئيل من الخامات اللازمة للصناعة وهى تعتمد على المقايضة وتبادل الخامات فى الحصول على الخامات للصناعية الاخرى التى تنقصها

ان الكسب الذى نناله بصناعة حاجاتنا بأيدينا بدلا من شرائها جاهزة من الخارج يعادل أرباح الشركات التى تبيعنا اياها فوق أجر اليد العاملة ونحن نوفر كل هذا باقامة المصانع فى بلادنا . ولو سلمنا جدلا اننا سوف لانحقق من وراء ذلك توفير المكاسب التى أشرنا اليها وفرضنا اسوأ الفروض وكان أن تعادل ثمن الشراء مع ماسنتكبده من المصاريف لو قمنا بصناعة هذه الحاجيات بأنفسنا ، أقول لو كان الامر على هذا الفرض لكان ربحا لنا أن نقوم ببناء المعامل فنكون عندئذ قد كسبنا تشغيل اليد العاملة التى ستستخدم فوق ضمان سداد حاجتنا واستقلالنا عن المؤثرات الخارجية والاهواء السياسية وما هى عليه من تقلب دائم . ولكسبنا فوق كل ذلك احياء صناعاتنا واحتفاظنا بالثروة الاهلية فى بلادنا بدلا من تسربها الى الايدى الاجنبية

لا أخال القارىء الا مقتنعا معى أن الربح كل الربح هو فى أن نلجأ الى بناء المعامل وايجاد

الصناعات المعدنية بأنفسنا . ولا أخاله كذلك الا مقتنما أن هـذا وان اكتنفته المصاعب أمر ميسور ولا أظنه الا متفقا معى على أن الربح الذى يمكن أن نجنيه من وراء هـذا العمل يغرى أشد الاغراء على تحمل المشاق ويشجع على المضى فى ذلك السبيل ولـكن لعله يتساءل ومن تريد أن يقوم بذلك ؟ اتطمع من ذوي رؤوس الاموال أن تقبل على المخاطرة وتحمل المشاق فى سبيل غاية كهذه ونحن نعرف انهم آخر الناس فى التفكير فى شيء كهذا وأبعدهم ميلا الى الجرى وراء غايات كهذه ؟ أم تريد الحـكومة ونحن نعرف انها تشكو الاملاس المالى والافلاس الفنى فى كل لحظة وفترة وليس لخزائنها قبل على تحمل مصاريف بناء المعامل ثم استجلاب المشرفين الفنيـين واحضار الخامات ؟

وفى الواقع لست أطمع من الشركات أن تقبل فى الوقت الحاضر على مشروعات كهذه بل أعتقد ان الواجب الوطنى يدعونا الى منعها من تنفيذ ذلك لو أنها أقدمت عليه من تلقاء نفسها . ولست أدعو الى تحريم صناعة الاسلحة على الشركات لانى أشفق عليها من الاخفاق فى هذا المضمار أو لاننى أكثر تقديراً لاستعدادها للنجاح فى هذا الميدان منها نفسها انما أدعو اليه تجنبا للفضائح المخزية التي لا تفتأ صحف العالم تفشيها وتذيع أسرارها على العالم فى كل دولة وفى كل وقت . كانا قد سمع عن التهم المريعة التى قد نسبت الى معامل كروب فى المانيا وشنيدر فى فرنسا وغيرهما والخيانات الفظيعة التى اقدمت عليها هذه الشركات من أجل الحصول على المال والمال فقط مما كان له أكبر الاثر فى طرد اليهود من المانيا ثم تسليم مصانع الاسلحة الفرنسية الى الحـكومة القائمة الآن

ان صناع الاسلحة أو تجار المدافع كما يسمونهم فى أغلب بلاد العالم متهمون بانهم السبب الاكبر فى مايصيب الانسانية من حروب فوق أنهم لا يقيمون وزنا لتهم الخيانة الوطنية التى قد تلصق بهم فهى أمر طبيعى جدا بالنسبة لهم بل من علامات النجاح والقوة وربما الشرف أيضا . وقد ذقنا فى مصر مرارة الخيبة من وراء فعل هذه الفضائح فلا تزال فضائح الـكورنيش عالقة باذهاننا وما زلنا ترتعد غضبا كلما مرت بذاكرتنا وكل يوم يقدم الهيئة الاجتماعيـة المصرية أو مايلقبونه «بالهاي ليف» أفراد جـدد يطلقون عليهم لقب الطاحين. وأنا لا أكره مثل هؤلاء الطاحين ولست أستطيع أن أجزم انهم جميعا من عينية أولئك المموّلين اليهود الذين لعبوا بكروب وشنيدر فى أثناء الحرب العظمى ولـكنى لا أنفك عن اساءة الظن بهم من هذه الناحية . انى لا أستطيع أن أقنع نفسى أن كل هؤلاء الطاحين رجال شرف ونزاهة ومبدأ مادام للاصفر الرنان كل ماله من

هوى فى النفوس . واكبر ما أخشاه هو أن يقبل هؤلاء وأمثالهم على استغلال هذه الحاجة الطبيعية وتمثيل الدور الذى مثله نظراؤهم فى أوربا من قبل . وا كبر اعتقادى أن اليوم الذى سوف تقبل فيه رءوس الاموال متهافتة على استغلال هذه الناحية ليس ببعيد وعندئذ نندم لاننا لم نسد فى أوجه الطمع الاقتصادي هذا الباب . والطامة لاشك أدهى وأنكى لو أقبلت شركة أجنبية على العمل فى هذه الناحية اذ ذلك لايكون استعمارا جديدا فحسب بل أداة قوية لاهلاكنا وابادتنا كأمة حرة وكشعب عامل

والسبيل الوحيد لضمان السلام من كل ماقدمنا من الاخطار هو ان تقبل الحكومة على هذا العمل كما فعلت حكومة فرنسا مثلا ولا بأس من أن نقيم اكتتابا شعبياً عاما على نحو مافعلنا فى بناء مصنع القرش مثلا على ان تتناسب أهمية الاكتتاب والدعوة اليه مع عظم المبالغ المطلوبة . وفى استطاعتنا أن نلجأ ايضا الى عملية اليانصيب على نحو ماتفعل الحكومة الفرنسية ايضا وفى استطاعتنا أن نقوم باكتتاب عام تشترك فيه طبقات الشعب كلها والحكومة على رأسها لجمع المال اللازم لتشييد هذه المصانع وضمان سيرها

وسوف لايعدم ساستنا وزعماؤنا ومحبو الشعب وتأييده لهم وتقديره لجهودهم، أن يجدوا الوسائل فى ترغيب افراد الشعب من كل الطبقات والالوان فى الاكتتاب ثم التضحية المادية اليسيرة لمجد الوطن . لقد فرض الالمان على أنفسهم أن يأكلوا سمكا يوما فى الاسبوع وذلك تشجيعا للمصانع الالمانية وضمانا لعمالها من البطالة ونحن نستطيع أن نقوم بآلاف الاعمال من هذا القبيل ومهما قيل فى وطنية الشعب الالمانى وتضحيته فى سبيل مجد الوطن فالشعب المصرى أوفر الشعوب حظا وأرسخها قدما فى ميدان التضحية الوطنية والحب العميق لبلاده

انى لا أشك لحظة فى أن الشعب المصرى اذا تحقق قيمة مايطلبونه منه من اكتتاب وفائدة ومن السهل اقناعه بذلك سوف يقبل عليه اقبالا عظيما جديرا بان يكفينا مذلة الاعتماد على الآخرين وخصوصا على الخارج وقد لبس فى هذه الايام ثوب القادر الخائن المتوثب للقضاء على الضعيف فى غير رحمة أو شفقة أو حياء من وجد الى ذلك سبيلا

عندئذ وعندئذ فقط نكون قد استطعنا رفع خطر التحكم الاجنبى فى سلامة الدفاع عن بلادنا فوق ضمان هذه السلامة من الوقوع تحت سيطرة المولين ورجال الاعمال وما قد يكونون عليه من جشع وتكالب على المال ولو أدى هذا التكالب ودفع بهم الجشع او التسفل الى درجة الخيانة

دراسة الانسان

للاستاذ أحمد زكي بدوي

يعتبر علم دراسة الانسان من العلوم الحديثة . ويتصل تاريخ هذا العلم بتاريخ علم الحياة الذي بزغ في أوائل القرن الثامن عشر على يد لامارك وبلغ أوج مجده في أواسط القرن التاسع عشر عندما أصدر داروين كتاب أصل الانواع فكشف به عن أعظم أسرار النظام النشوئي، ثم جاء سبنسر وعمم نظرية التطور حتى جعلها تعمل الهيئة الاجتماعية الانسانية وأظهر كيفية انتقالها بالتدريج من الوحشية إلى المدنية ، وكيف أنها دائمة التطور ، شأنها في ذلك شأن النبات والحيوان

ومنذ ذلك العهد أخذ علم دراسة الانسان يظهر تدريجيا على يد أنصار نظرية التطور . ونخص بالذكر منهم تيلور وفريزر ومورجان وكرادلي وستر مارك وهارتلاند وركلاس

ومن سوء الحظ أن مصر لم تهتم كثيرا بهذا العلم رغم أن هناك مجالا واسعاً للابحاث الانثروبولوجية في كثير من أنحاء القطر المصري ، واقتصرت أعمال التنقيب الخاصة بنشوء الانسان على بعض الباحثين من الأجانب وأذكر منهم الآنسة كاتون طومسون والآنسة جاردنر فقد قامتا بالتنقيب في طبقات شواطىء بحيرة موريس بالفيوم وكانت أهم نتائج هذه الابحاث اثبات نظرية عصور الخصوبة والجفاف التي توالت على افريقيا وهي تقابل نظرية العصور الجليدية بأوربا

كان من واجب الجامعة المصرية الاهتمام بهذا العلم لاهميته العظيمة ، وذلك على الاقل بتعيين أستاذ خاص له ، ولكن كان كل نصيبه بضع محاضرات لاتجدي تلقى على شعبة الجغرافيا

ولم يصدر في اللغة العربية من الكتب الخاصة بدراسة الانسان مايستحق الذكر اللهم الا كتاب فجر التاريخ الذي أصدرته منذ ثلاثة أعوام وهو مختصر جدا وكتاب سكان الكوكب للاستاذ محمد عوض محمد ويقتصر على الناحية الاثنولوجية

أثيرت ذات مرة مسألة تحديد الوقت الذي ينتهي فيه التاريخ القديم ويبتدىء التاريخ الحديث ولما سئل ادوارد تيلور العالم الانثروبولوجي العظيم أجاب بأنه « ليس لذلك أهمية فكلاهما من فروع علم دراسة الانسان »

والواقع ان علم دراسة الانسان يكاد يشمل منطقيا كل المعرفة البشرية إلا أنه يتعلق من الناحية العملية بعدة ابحاث متنوعة ويتوقف ذلك على ما أصابته هذه الابحاث من فائدة خاصة أو أهمية . فعندما ابتدأت متحجرات الانسان القديم تلفت النظر ، كان من المفروض أن الانثروبولوجي هو الذي يبحث فيها وفى الجاجم على الخصوص ، وهكذا كلما نشأت دراسات تتعلق بالجنس وبالتشريح البشرى كانت تدخل تحت موضوع الانثروبولوجيا الطبيعية ولكن دراسة الانسان كمخلوق اجتماعى — الجماعات والمظاهر الاجتماعية والعادات والتقاليد والثقافة — أصابت أيضا اهتماما عظيما حتى ان كلمة انثروبولوجيا أصبحت تطلق فى انجلترا على هذه الابحاث الاجتماعية بالذات

رغم ان الانثروبولوجيا الاجتماعية تشمل كما يقول تيلور كل تاريخ الانسان الثقافى فان هذه العبارة من الناحية العملية مقتصرة على ذلك الجزء الذي لا يمثله التاريخ المدون . لان الجماعات المتأخرة أو الفطرية التى ليس لها تاريخ مدون هي التى تهيء الفرصة لبحث أصل المسائل الاجتماعية التى يستدعى فهمها معرفة نشوئها . ومن أجل ذلك وجدت الانثروبولوجيا الاجتماعية . ويتعذر فهم التاريخ الحديث بدون الالمام بالتاريخ القديم وعلى هذا القياس يصبح التاريخ المدون مفهوما فى ضوء الحقائق الاجتماعية وأسباب نشوئها

تحتاج دراسة الانسان الى الاستعانة ببعض العلوم الطبية كعلوم التشريح ووظائف الاعضاء والاجنة وتكوين العضل والمتحجرات وكذا الاعتماد على بعض العلوم الاجتماعية كعلوم الاجتماع والنفس والاخلاق وغيرها وذلك لاثبات الحقائق المختلفة التى تتحقق بنشوء الانسان وتطوره . وكثيرا ما تتعارض نتائج هذه العلوم فى بعض التفاصيل مما يجعل مهمة العالم الانثروبولوجى من الصعوبة بمكان ، فهو مضطر لدراسة الابحاث التى تتعلق بالانسان دراسة دقيقة ثم يقارنها بعضها ببعض وأخيرا يقرر قبول النتائج التى أجمعت أغلب الابحاث على صحتها ورفض التى اتفقت على خطئها . وقد يختلف الانثروبولوجيون أنفسهم فى نتائج مقارناتهم ولكن اختلافهم هنا لا يزيد على الاختلاف المشاهد فى كثير من العلوم . والحقيقة كما يقول انشتين متطورة بتطور الانسان

ينقسم علم دراسة الانسان الى قسمين أولهما دراسة الانسان الطبيعية وتدرس الانسان كحيوان وعلاقته بباقى المخلوقات الحية ومكانه فى الطبيعة وتركيبه البدني وأجهزته العضلية على ضوء علم التشريح المقارن وعلم وصف الاعضاء وتقوم أيضا بالدراسة المقارنة للاعمال العقلية وتبحث عن قدم الانسان كما تدل عليه بقاياه . وتقوم بالدراسة المقارنة للصفات الطبيعية التى تميز

السلالات المختلفة للنوع البشري ونمو الانواع البشرية وتفاعلها على البيئـات الطبيعيه المختلفة بالنسبة للاغذيه الموجودة بها وقدرة النوع على مقاومة المناخ والمرض

وتبحث دراسه الانسان الاجتماعيه في الانسان الاول من الوجهة الارخولوجية على ضوء بقايا مصنوعاته وعن كل مايتعلق بخواص ومؤثرات عصور ماقبل التاريخ واستمرار تعرق الاحوال الثقافية على توالى العصور وتهتم بالدراسة المقارنة للفنون والصناعات : نشوئها وتطورها وتنويعها الجغرافى ثم تدرس الانسان كحيوان اجتماعى بالبحث المقارن عن المسـائل والنظم الاجتماعيـة : الميلاد والتعليم والزواج والموت والعادات والتقاليد والقانون والاخلاق وممارسة السحر والدين والقبائل والجماعات والحـكومة . وتبحث أيضا عن تقسيم الانواع البشريه وفقا للاحوال الثقافية

سنحاول الآن القاء نظرة سريعة على القسم الاول من دراسة الانسان على أن نتحدث عن القسم الثانى فى فرصة أخرى

الانسـان من حيث العلوم الطبيعية حيوان فقري الا أنه يتفوق على الحيوان بقامته المنتصبة وعينيه المتجاورتين ويديه الخفيفتين وقدميه وما عدا ذلك من الخصائص الجسمانية فكل منها موجود فى عالم الحيوان وان لم تـكن مجتمعة بتوافق الا فى الانسان

للانسان صلة عظيمة بباقى الحيوانات وخصوصا بالقردة العليا وكل القرائن تثبت أنه يشترك معها فى ارومة واحدة . أي أن القردة ليست أصل الانسان بل انهما سليلا نوع واحد . ويشبه تـكوين الانسان التشريحى الى حد كبير القردة الشبيهة بالانسان ـ الغوريلا والاورانج والشمبنزى والجيبون . ويتفق معها من جميع الوجوه عظمة بعظمة وعضلة بعضلة وعصب بعصب ودم بدم إلا أن هناك فروقا ضئيلة أهمها مخ الانسان الذي يبلغ وزنه ثلاثة أضعاف وزن مخ الغوريلا . فاوزن المخ التقريبى للانسان يبلغ ٤٨ أوقية بينما لا يزيد وزن مخ الغوريلا على ٢٠ أوقية على أكثر تقدير كما أن حجم الجمجمة الانسانية لا يقل عن ٥٥ بوصة مربعه ويبلغ فى الاورانج والشـمبنزى ٢٦ و ٢٧٫٥ على التوالى

كان الانسان فى الازمنة الاولى يكافح ليعيش مكافحة شاقه ، وكان بين جميع المخلوقات الموجودة على الارض أقلها استعداداً للدفاع عن نفسه من الاخطار المحيطة به . وكان لكل حيوان سلاحه الخاص من أنياب ومخالب وغيرها فـكان له حظ فى البقاء ما عدا الانسان الذى كان يجول بينها لا سلاح له يدافع به عن نفسه ولا مأوى يقيه

ولكن قدر للانسان أن يتفوق لأنه لم يتخصص . بينما تخصص الحيوان فكان لكل عضو وظيفة واحدة . فاليد الانسانية مثلا هي أقدم الايدي بين الحيوان وأقلها تخصيصا . وايدي الفرس والجمل والقط والطائر « الجناح » كلها مخصصة وكلها يقصد منها عمل شيء بعينه قد اهلت له اليد اكبر تأهيل وأخصه بحيث لا يمكنها عمل شيء آخر . لذلك كانت أعضاء الانسان تليق لكل وسط تقريبا لانها لم تتخصص لوسط بعينه وأن حريته في اختيار الوسط كانت اكبر من حرية اي حيوان آخر ، فاعتمد الانسان في تطوره على الوسط دون أن يعتمد على جسمه . اى بدلا من أن يعتمد على اجتماعه باخوانه أو يحتمي بالمغاور في الدفاع عن نفسه . وبدلا من أن يختص بطعام واحد كان يأكل جميع الاطعمه . ولذلك كان تطوره اجتماعيا بدلا من أن يكون بيولوجيا كما هو الشأن في الحيوان فتطورت نفسه وأخلاقه واصبح رقيه وانحطاطه يقومان على الذهن بدلا من اللحم والعظم

كانت حياة الانسان الاول النفسية مجموعة من الغرائز والعادات . فلم يكن ينظر الى أبعد مما يصل اليه نظره فلا يرى الاشياء الا كما يراها الطفل ، فالشمس مخلوق حي ، وكذا الرياح والامطار وغيرها ، والمرض تسببه الارواح الشريرة التى تدخل جسم المريض وتطرد الأرواح الطبيعية والاحلام هي وقائع حقيقية للنفس في تجولها عندما يكون الجسم نائما . وظن الانسان أن خياله في الماء هو جزء منه ، ولذلك فان كثيرا من الهمجيين يحترسون عندما يسيرون حذاء النهر من وقوع ظلهم على الماء ، خوفا من أن يصل اليه التمساح ، فيسحبهم الى النهر عن طريق الظل ويأكلهم

ويتميز الهمجيون بتعصبهم الشديد لما يعتقدونه من الخرافات لدرجة عظيمة . وينظرون الى أغلب الشرور كأنها فضائل . فالسرقة والقتل في نظرهم وسائل رفعة ومجد ، وقد يقتلون الشيوخ عندما يشح الغذاء ، وقد يهجرون الاولاد أو يبيعونهم عندما يكثرون . فهم لا يعرفون الضمير

يعيش الهمجيون في عالم يختلف عن العالم الذى نعيش فيه ، ويعملون أشياء عديدة تختلف عما نعمل ، الهمجي طفل الطبيعة ، يعيش كما تعيش سائر الحيوانات المتوحشة . ليس له نباتات أو حيوانات مستأنسة . يصطاد الحيوانات والاسماك ويقاتل ليعيش . وينتقل في قبائل صغيرة ، حافظا وجوده بحرب دائمة مع القبائل الاخرى . يعيش من اليد إلى الفم ، حياته مملوءة بالاخطار والمجازفات لا يعتقد الا بقانون أخلاقي واحد هو قانون الحق للأقوى أى القانون الذى يسود بين الحيوانات

المفترسه فى كل مكان . وعلى العموم فالهمجى يعيش وفقاً للبيئة التى نشأ فيها ، فله الجسم الذى يحتاجه والغرائز التى تقوده نحو الاشياء التى يحتاج الى عملها لكى يستطيع أن يبقى على حياته

كان الانسان الاول يخشى الحيوانات وأفراد القبائل الاخرى فلما توصل الى اختراع الاسلحة قل خوفه نوعا ما . الا أنه ظل لا يعتمد على أحد ولا يعتمد عليه أحد ، لا يرجو شيئا من جاره فكانت حياته قلقا مستمرا مصدره الخوف وحب الذات

لننتقل الآن من طبيعة ونفسية الانسان الى البحث عن قدمه، والارخولوجيا هى العلم الوحيد الذى نعتمد عليه في هذا البحث . كانت أبحاث علماء الآثار منذ أوائل القرن التاسع عشر مقتصرة على الحضارات التاريخيه المعروفة ولكن منذ ظهرت نظرية داروين أخذوا يهتمون بالبحث عن عصور ما قبل التاريخ . فقسم الباحثون عصور ماقبل التاريخ تقسيما حيويا كان أساسه في أوربا العواصف الثلجية التى طغت عليها في أحقاب مختلفة فكانت هذه العواصف حدودا تفصل ما بين عصر وآخر وكان أساس هذا التقسيم فى افريقيا أحقاب الجفاف والخصوبة التى توالت عليها

ويقرر علماء الجيولوجيا هذه الاحقاب بعشرات الالوف من السنين . الا انهم قسموا عصور ماقبل التاريخ على الاطلاق الى ثلاثة عصور : العصر الحجري وعصر البرونز وعصر الحديد وقسم بالتالي كل من هذه العصور الى أقسام أخرى وفقا للتطورات المختلفة التى طرأت على مصنوعات الانسان فى ذلك الوقت

كانت وسيلة الارخولوجيين فى ابحاثهم التنقيب وهيا كل الانسان القديم ومصنوعاته وقد وجدوا كثيرا من الهيا كل والمصنوعات فكانت صورة صادقة عن حياة الانسان الاول

قد يختلف الانثروبولوجيون أحيانا في بعض التفاصيل أو فى اعطاء تواريخ تقريبية للحفريات ولكن ليس هناك شك بينهم فيما يتعلق بقدم الانسان ، فقد أجمعوا على أن سلف الانسان عندما اقترب من الشكل البشرى، فى حجم المخ يرجع الى بدء عصر البليوسين ، أى منذ ما يقرب من ٤٠٠٫٠٠٠ سنة وسمى فجر الانسان ومعلوماتنا عن فجر الانسان قليلة ، وكان من المدهش أن الانثروبولوجيين بمهارتهم العجيبة وعبقريتهم أمكنهم أن يحدثونا عن الانسان القديم منذ ٢٠٠٫٠٠٠ عام فأظهروا شكل الانسان حينذاك على ضوء بضع حفريات لا تعدو جمجمة أو سنا . واثبتوا أن أصل الانسان لا يرجع الى أى شكل من اشكال القردة الشبيهة بالانسان التى ما زالت موجودة وبرهنوا على أن كل من القرد والانسان تفرع من أصل واحد من شجرة تطور الحياة . ويقدر

السر ارثركيث بان هذا الانفصال حدث منذ ما يقرب من مليون عام . وهنا يختلف بعض الانثروبولوجيون فيقررون وجهات النظر الآتيه (١) نشأ الانسان الشكلى من القردة الشبيهة بالانسان (٢) من فصيلة مشتركة بينه وبين القردة الشبيهة بالانسان (٣) من نوع سالف للقردة الشبيهة بالانسان . ولا غرابة فى هذه الاختلافات لأن البحث مازال حديثاً

وقد اكتشفت حتى الآن عدة أنواع من الانسان ظهرت ثم انقرضت ولم ينحدر الانسان منها مباشرة . فانسان جاوة الذى اكتشف عام ١٨٩٢ هو أول الاشكال البشرية ويقدر عمره بنحو ٦٠٠ر٠٠٠ سنة وانسان هيدلبرج (١٩٠٨) قد يكون من نفس النوع . له فك يمتاز بخاصة المضغ لا ذقن له وهو شبيه بفك القرد وانسان بيكنج (١٩٢٩) وهو مخلوق يمتاز بأنه يعبر الطريق بين الحيوانية والانسانية أما انسان بلتدون فيمتاز بأهم ملامح الانسان . أما احدث أنواع الانسان التى اكتشفت فهى النيندرتال وكان يعيش فى أوربا منذ ١٠٠ر٠٠٠ سنة تقريبا ثم زال هذا النوع عند ظهور إنسان منذ ٥٠ر٠٠٠ سنة وهو أول أقارب الانسان . وقد جاء من آسيا .

ان اكتشاف الهياكل التى تحدثنا عنها قد تم خلال الثلاثين عاما الماضيه ماعدا انسان جاوة . ولذلك فان البحث مازال ناشئا ومازال هناك مجال لكثير من المكتشفات .

لننظر الآن الى الآثار التى تركها الانسان . انها لا تعدو بعض آلات مصنوعة من الصخور الصلبة كالصوان مهذبة تهذيبا بسيطا لتقوم باغراضه الأولية كالصيد والدفاع عن النفس وقطع الاشجار وهلم جرا . على أنه كان يدأب دائما فى تحسين هذه الآلات كلما ارتقى فى سلم المدنية وكان يساعده على هذا التحسين نمو العقلى المتزايد كانت الآلات الحجرية تزداد اتقانا مع مضى الزمن حتى صارت آلات نافعة رشيقة . ولم يقف نمو العقلى عند ذلك فسرعان ما كشف صرا كان له من أكبر الأثر فى حياته ذلك هو من استنباط الفلزات من خاماتها المعدنية الاولى وقد يكون وقوفه على سر هذا الفن قد جاء عن طريق المصادفة على أنه كان على كل حال عرف كيف يستفيد منه فلجأ إلى صناعة آلات من البرونز الذى هو مزيج من النحاس والصفيح . ومن ذلك العهد ابتدأ تقدم الانسان يخطى واسعة

بقى القسم الاخير من أقسام دراسة الانسان الطبيعية وهو دراسة الاوطان المختلفه للنوع البشرى . يتفق أغلب علماء الانثولوجيا على أن الانسان نشأ فى اقليم واحد من سطح الارض

ثم انتشر فى جميع أنحاء الارض . وكان للنوع البشرى فى أول عهده صفات جنسية مشتركة بين جميع الافراد ثم ظهرت الاختلافات بسبب البعد عن الوطن الاصلى ، وانتقال جماعات الى اقاليم وجماعات أخرى الى إقليم آخر مخالف له . فكانت البيئة هى السبب الاول لايجاد السلالات المختلفة لان كل اقليم يحتاج لخصائص خاصة به ، والذين حرموا هذه الخصائص قد يهلكون ، أو ينمون هذه الخصائص على مدى الزمن . وأهم المظاهرات التى تميز سلالة من سلالة هى شكل الشعر والرأس والوجه وشكل القامة والاطراف وشكل العين والانف ولون البشرة . أما خواص هذه الظاهرات فدقيقة جدا فمن خواص الجلد الاسود مثلا الوقاية من الشمس ، بينما يتأثر الجلد الابيض فى المناطق الباردة من هذه الحرارة أما الاسمر والاخضر والاحمر فهى ألوان متوسطة تلائم المناطق المتوسطة

والخلاصة أن التنوع نشأ عن اختلاف البيئات وعن اجتماع العناصر المختلفة بالاختلاط والتناسل وحيثما كانت التنوعات مفيدة لمقاومة الحرارة والبرودة أو غيرهما من صفات المناخ . أومساعدة على النجاح فى الحصول على الطعام أو مكسبة مهارة فى المحاربة أو الهرب من الاعداء . مالت الى الثبات بسبب تفوق الافراد الذين ورثوها

ولكن الانسان بعد أن قطع فى تطوره شوطا كبيراً أصبح أكثر مقاومة للعوامل الطبيعية وأقدر على التحكم فى موارد الطبيعة ، وعلى اخضاع قواها لمقتضيات راحته وسعادته . فاكتسب مقدرة على مقاومة وتسخير قوى الطبيعة بدلا من أن يكون تحت رحمتها . ولذلك بقيت صفات السلالات كما هي ولم تعد تتأثر بالبيئات الجديدة اذا انتقلت اليها



الثقافة الجنسية

بقلم نورمان هير فى دائرة

المعارف التناسلية

يستيقظ النشاط العقلى مبكراً فى كل طفل ، وحينئذ يظهر على صورة ميل شديد لاستطلاع كل ظاهرة من ظواهر الحياة بالغة مابلغت من البساطة ويمتد حب إستطلاعه هذا الى الشئون الجنسية وقد ذكر هافلوك اليس فى مؤلفه الشهير عن التربية الجنسية أن المعضلة التى تحير عقول معظم الأطفال هى فى الواقع « كيف يأتى الأطفال إلى العالم » ؟

وإنه من الغباء المطبق أن نرمى الطفل بالخروج على الآداب إذا مارغب فى معرفة أمر من الأمور الجنسية فليس هذا الميل الى الاستفسار عن الحقيقة إلا أول مايوضح نشاط العقل الانسانى ، الشىء الذي رفعه عن باقى الحيوان فجعل من البدائى المتبربر كائنا متمدينـاً . وحب الاستطلاع الجنسى عند الطفل هو الذى يملك على الناس مشاعرهم سواء اكان منشأ هذا هو الرغبة الصادقة لذاتهـا أو الفائدة العملية ودوافع القوى الطبيعية الخفية . وليست مسألة وجودنا فى هذا العالم مقصورة على فروض علماء ماوراء الطبيعة فحسب ، بل هى تحير عقل الطفل فى الوقت الذي يبدأ فيه تفـكيره

فهو يسأل والديه منذ طفولته الاولى أسئلة لاتقف عند حد ، وكلها تدور حول هذا الموضوع الدقيق . ويمكن أن نملأ المجلدات بالوقائع البينـة الغريبة التى دونهـا المربون وعلماء النفس الذين تخصصوا فى دراسة نفسية الطفل . وسنقتطف هنا قليلا منها اخترناه كأمثلة نموذجية :

« ذكر والد طفل فى الخامسة من عمره أنه كان ينوى الذهاب الى السينما بعد ظهر يوم الاحد ، فاستفسر منه أحد أصدقاء العائلة عما اذا كان سيصحب طفله معه فأجابه الوالد بالنفى لأن هناك تعرض قصص غرامية . وهنا سأله طفله اذن كيف تنتظر منى أن اعرف ماهو الحب ؟ وأنت تعلم أن هذا يلذ لى كثيرا ؟ »

قد يعترض انسان بان الحب لم يكن وحده موضع اهتمام الطفل ، وعلى ذلك لايكون هذا المثل مقحما . ولـكنا نرد على هذا بأن نفس الطريقة التى أبدى بها الطفل ملاحظته تكشف لنا فى وضوح أن « مسألة الحب » كانت ماثلة فى ذهنه منذ حين

إن أكثر الامور إثارة لحب الاستطلاع عند الاطفال هى كما أوضحنا آنفا « كيف يولد الطفل ؟ » ويجيب معظم الآباء عن هذه الأسئلة باجابات غاية فى الحذر كقولهم « يخرجون من الكرنب » أو « يأتى بهم اللقلق » وما إلى هـذه من التفسيرات التى يصغى اليهـا الطفل وقد يظهر اقتناعه بها ولـكنه فى الواقع يرتاب إلى حد ما فى صحة هذه الاجابات

وقد ذكرت مسز « آليس بالنت » مؤلفة « علم النفس التربيى » قصة مربية لم تـكد تدخل فى خدمة إحدى الاسر حتى انفرد بها طفل فى الخامسة من عمره وطلب اليها أن تخبره « من أين يأتى الأطفال ؟ » وظاهر أن هذا الطفل كان قد طرح نفس السؤال على والديه دون أن يظفر باجابة مرضية

ولقد دهش الوالدان عندما نقلت اليهما المربية حديث الطفل ظنا منهما أنه كان قد نسى هذا الموضوع منذ زمن بعيد

ولقد دلت التجارب على أن قصة الـكرنب أو اللقلق لم يـكن يصدقها الاطفال تصديقا أعمى ، ومهما أظهروا الاقتناع بها وقتا ما فلا تلبث تحرياتهم المستمرة أن تغير رأيهم . فهم يترقبون قدوم اللقلق من النافذة فاذا مرت أيام دون أن يروه يتملـكهم الشك من جديد ويلجئون بالأسئلة . فهم يسألون مثلا عما إذا كان اللقلق يأتى بهم كساة أم عراة ؟ وكيف يعرف اللقلق العنوان بالضبط ؟ وكيف يمـكنه أن يدير مقبض الباب ؟ وما الى ذلك

وذكروا أن ابن حمال فى برلين وكان فى الثالثة من عمره قد سأل هذا النوع من الأسئلة فأجيب بتلك الردود المعهودة . فقال لوالدته يوماً « الآن قد عرفت كيف ينمو الطفل فى بطن أمه ، لقد ظننت بى البله الى حد أن أصدق أننى كنت فى قاع البحيرة قبل ولادتى . فلو صح هذا لأصبت ببرد ، وكيف يمـكن للقلق أن يأتى بى ؟ لقد ذكرت أنه ألقى بى من المدخنة ولو صح هذا أيضا لتلوثت بالسناج ولآذانى السقوط أذى شديداً »

هذا الشاهد المقطوع بصحته يرينـا كيف يفند « أبرياؤنا » مهما بلغ صغر سنهم مغالطات والديهم وهذا التساؤل يرينا معارضة الصغير فى قبول قصة أمه وهذا راجع إلى معرفته حقيقة الامر من رفاقه الصغار فى الطريق . على أن هذا لم يـكن سببه الشك بل هو استعداده لقبول المعلومات التى يدلى بها اليه الاطفال الآخرون

ونسوق مثلا آخر عن فتاة صغيرة فى الرابعة من عمرها كانت موجودة عندما شعرت احدى صديقات والدتها بالمخاض « ألم الوضع » فلاحظت حالة التهيج ولم تبعد الا عندما حضر الطبيب ، فلما ذهبت إلى فراشها فى المساء قالت لوالدتها : —

« هل القلق الآن أم البطن ؟ » فاعترفت الأم وقد أخذها العجب « بأنه البطن » وأردفت الطفلة :

« قد فهمت الآن ، ولكن لا اعرف كيف أمكنك ابتلاعي ؟ . فهذه القصة الصغيرة مسلية حقا لأنها تكشف عن خبث الطفلة فى استيضاح الشكوك التى ساورتها عن قصة سمعتها عمن يكبرنها سنا

وكثيراً ما تسبب أسئلة الاطفال حيرة الكبار إذ يسألونهم لماذا تنجب المتزوجات أطفالا دون الغير المتزوجات ، والامثلة التى سقناها آنفا توضح الحقيقة التى لامرية فيها وهى أن حب الاستطلاع يتجه تماما الى الناحية الجنسية ولذا وجب علينا أن نواجه الثقافة الجنسية منذ الطفولة الأولى

هل ينبغى أن يقف الأطفال على هذه الناحية من الحياة أم لا ؟ ...

إلى عهد قريب لايتجاوز بداءة هذا القرن كان يجيب غالب الآباء على هذا بالنفى معتذرين بأن براءة الطفل يجب أن لاتلوث فى سن مبكرة وان مايحتاج إلى معرفته سيجد له فى المستقبل متسعاً من الوقت ، كما يرون أن الأفضل للطفل أن يقف على الحقيقة من زملائه وذلك حتى لايفقد احترامه لوالديه إذا مابحثاهذه المسائل معه شخصياً أو على مسمع منه

وهذا رأى خاطىء ناقشه وأدحضه العلماء والمربون ادحاضاً تاما منذ زمن ، فلسنا بحاجة إلى أن نخوض غماره ثانية

ويمكننا ان نفرض مبدأ رئيساً هو « أن الأمانة فى التثقيف لايمكن أن تؤتى ثمارها الا اذا عنى بسلطة الآباء . فليس أبعث على زعزعتها من أن يكتشف الطفل انه كان مخدوعا » وسنشير إلى هذا الموضوع فيما بعد

وقد وضح ف . مالنج الكاهن بهامبورج رأيه فى ضرورة الثقافة الجنسية المبكرة بقوله « إننى احبذ الصراحة المطلقة وأظن أن إخفاء الأمور الطبيعية تحت رداء الانكار والغش قد يكون أكثر ضرراً من كشف الحقيقة . فان إنسانا قط لم تضره الحقيقة فى شىء بينما قد يتسبب عن التستر الممقوت أعظم الاضرار» ولذا فنحن ننتصر لفكرة تنوير النشء وحينئذ تكون المشكلة هى معرفة كيف ومتى نبدأ هذا التنوير ؟ ويجب أن لانظن أن مسألة تثقيف الطفل واجب صعب غير محدود لأن المربين يمكنهم الاستعانة بمرونة عقل الطفل الذى يسترعيه كل عظيم مدهش « على ألا تطغى عليه المبالغة » وحينئذ تصبح مشكلة تجدد الكائنات الحية شيئاً طبيعياً جداً وسيرى الطفل فى هذا مظهرا لبأس القوى الطبيعية ، فاما ماكشف له عن هذه الاعجوبة فى عبارة ملائمة صادرة عن عقلية سليمة ، مضافا الى ذلك الاحترام المتولد من الحب فلا بد أن يرى الطفل فى الطبيعة

البشرية ظاهرة مدهشة ومنبعاً للسرور لا يعت للشهوة أو الرذيلة بصلة. أما الآباء الذين يهملون أطفالهم اهمالا شائناً فيسمحون بمثل هذا الترابط الفكري يتغلغل فى نفوسهم فلا شك أنهم مخطئون. حتى أن الدكتور جودتشيلد لم يتردد فى أن يعلن احتجاجه الشديد على أولئك الذين اعتادوا قذف شبانهم بين مباهج المدن ومغرياتها دون أن يزودوهم بأكثر مما لو كانوا ذاهبين الى اللجنة

وعلى الرغم من أن الثقافة الجنسية ضرورية كما مر بنا فهى إلى جانب هذا تحتاج إلى حذر شديد ولباقة ، ولذا وجب على المربى المسئول أن يحسن تقدير واجبه . فلو عهد بذلك إلى شخص غير كفء فان غباءه ونظرته السوداء المتشائمة للعالم تصبغ روح الطفل بالسوداء ، وبهذه الطريقة فان الآباء الذين يحاولون حفظ نقاوة أبنائهم وبراءتهم باخفاء الوظائف الأساسية للحياة الانسانية عنهم سينتهى بهم الأمر إلى نتيجة عكسية لان المعرفة التى سيحصل عليها الطفل فى حياته الخارجية ستكشف له مسألة التناسل عن طريق القصص الوضيع الذى يسمعه من رفاقه والفاسدين من الخدم وكذلك من الصور الفاحشة

ويقص الاستاذ ليمان مثلا من الطرق الفاسدة للحصول على الحقيقة وذلك أن إحدى تلميذاته ساءت حالتها من جراء كبت ميولها الذى سبب لها برودا وفتورا بالغين :

« عند ما كنت فى التاسعة أخذت المعلومات الجنسية عن خادمة سيئة الخلق جربت كل أنواع الحب والشهوة والرذيلة وأصيبت بأمراض مختلفة فوق انها أنسلت طفلا. ولذا رغبت فى أن تحميني من السقوط فى نفس الهوة فجعلت لى من نفسها منقفة تناسلية. ولست أذكر التفاصيل تماما بل كل ما أعرفه انها كانت تصور المرأة كالحمل الوديع ، وتصف الرجل الذى يبحث عن إطفاء شهوته دون أن يكترث لما يسببه اندفاعه من نكبة المرأة بالوحش المفترس . وكانت نصائحها فى الشئون الجنسية تتلخص فى العبارة الآتية « كل ما أقوله لك هو أن تحذري الرجل لانك قبل ان تحاولى احتقاره يكون قد أولدك طفلا » . . . ولما كانت قد قطعت صلتها بهؤلاء الوحوش رغم انها تشعر بشهوة جنسية جامحة فقد أخذت تتقرب إلى الفتيات الأخريات من زميلاتها وتحبب نفسها إلى الصغيرات اللواتى عهد اليها أمر تربيتهن فظفرت بصداقتى وتركت فى نفسى شعور المقت والاحتقار والنفور من كل شيء يمت الى التناسليات بسبب »

واننا نعتذر لتفصيلنا فى هذه المسائل اذ ان بعض الناس يعدون ذلك اسرافا ، فالكثيرون منهم لا يقدرون الضرر الذى ينتج عن الجهل بطرق التربية الحديثة ، ولا نظن أننا نضيع الوقت عبثا فى توضيح بعض النقط ، وليس ببعيد ما كتبه الفونس دوديه :

« أما الأطفال فانهم يتلقون كل مايحتاجونه من الطرق والصحف . وأما البنات فلا ينبغى أن يتعلمن شيئا عن وظائف الأعضاء . وعندي أن الأفكار الجديدة مضرة ، وأن الحقائق الجنسية قذرة هادمة . لانها تقلق العقل وتنفره ، وتبعد الفتيات عن طبيعتهن »

ومن المؤسف أن يكون هذا الرأى أكثر إنتشاراً مما يتصوره العقل . ولقد كان هافلوك اليس محقا فى رده على أمثال هؤلاء البيوريتان «المتطهرين » .وقوله « ان مثل قناعتهم كمثل من لايرى ضرورة لامداد سكان المدن بالماء النقى مادام يمكنهم أن يشربوا من ماء الشوارع الراكد » وانا نكرر القول بوجوب ابعاد الطفل عن الأفكار القذرة والخطيئة عند ماتقدمه إلى عالم الحب وإلا شغل عقله بأفكار ثابتة عن « الجنس » قد تتأثر بها فترة بلوغه كلها

ويكون خطر الجهل الذي وصفناه على أشده عند البنات اللواتى يباغتهن الحيض قبل أن يحذرن ليأخذن الحيطة .

ويصف ادموند دى جونكور فى كتابه « عزيزتى » حالة الخوف التى تتملك الفتاة الجاهلة عند مايلوث الدم ثيابها الداخلية وصفا دقيقا .

وقد وضع تلت طبيب الأمراض النسائية فى القرن الماضى جدولا بيانيا لفترات الحيض عند أعدد كبير من الفتيات أوضح فيه أن ٢٥ فى المائة منهن لم يكن على علم به ، ومن بين هذا العدد١٣ فى المائة انتابهن ذعر شديد وأصبن بحالات عصبية و٦ فى المائة ظنن أنهن مجروحات فاغتسلن بماء بارد وقد تأثرت صحة الخائفات منهن تأثرا سيئا . وقد كتب انجلمان

« يعرض عدد كبير جداً من الفتيات عند بلوغهن بسبب الخوف والتهيج العصبي والتعرض للبرد فاليس أقرب إلى بديهه فتاة صغيرة أدهشها حيض فجأئى لاتعرف له سبباً من أن تحاول ايقاف ذلك النزيف الذي تظنه ناشئا عن جرح . وما دام الأمر كذلك فن الطبيعى أن تستعمل الماء البارد لتمنع النزف ، حتى ان بعض الفتيات يحاولن أخذ حمام بارد . وقد حدث لفتاة صغيرة أن أصبحت أما مستنيرة بعد أن قاست مدة طويلة من نتائج اخطائها فلم يضع هذا الدرس القاسى سدى إذ أنها تذكرت تجاربها السابقة فنقفت طفلها . وأمثال هؤلاء الأطفال القلائل قد أسعدهم الحظ فتلقوا التعاليم الضرورية عن صحة المرأة فى فترة الحيض الشهرية »

وعندما يقع نظر الفتاة الجاهلة بأمر الحيض على النزف لأول مرة دون أن تعرف له سببا ينتابها فزع شديد جداً ظنا منها أن هذه الحالة ما هى إلا عقابا لها على مزاولتها للعادة السرية وقبولها للأفكار النجسة . وقد لاترى طريقا أفضل من الانتحار تخلصاً من هذه الحالة

ولقد استشهد الدكتور ستيكل بقصة « حنة »التى كانت كلما سألت والدتها عن أصل الطفل

أجابتها فى كل مرة بأنها يجب ألا تعرف هذه الاشياء القذرة فهى تلوث طهارة روحها . ولكن حنة لم تكن تتوقع أنها هى وأمها وأختها مدينون جميعا بوجودهم إلى تلك « الأشياء القذرة » التى أشكل عليها أمرها ولم يتسع لها المجال لتبحثها مع صديقاتها لأن مربيتها كانت تضيق عليها الخناق

وبينما كانت تتسلق احدى القوائم فى درس الالعاب الرياضية شعرت باحساس سار ورأت أنه يمكنها أن تحصل على نفس هذا الاحساس كلما ضمت فخذيها بقوة . وقد كان من الممكن أن تذكر لامها ذلك لولا خوفها من أن تكون تلك اللذة متصلة « بالاشياء القذرة » التى ذكرتها والدتها

وذات مرة استيقظت حنة فوجدت بعض بقع من الدم على فراشها وقميصها وللحال خيل اليها أنها هوت إلى تلك « الاشياء القذرة » فرضت واعتقدت أن هذا عقاب الله لها وستعرف والدتها أنها أصبحت مخلوقة تعسة لا قيمة لها . ففكرت فى التخلص من الحياة ، وعمدت إلى المطبخ وفتحت صنبور الغاز ولكنها أنقذت فى اللحظة الاخيرة بعد أن فقدت الرشد

ولا يكون رد الفعل عند الطفل بهذا العنف دائما ، غير أن الازمة التى يمر بها عند ما يتضح له هذا اللغز الجنسى على غير توقع يكون دائما خطيرا ، ويرجع فرار بعض الزوجات من أزواجهن فى ليلة الزفاف إلى عدم توقعهن لذلك الفعل وان كان هذا قد أصبح من النادر فى الوقت الحاضر ولكن يحدث فى كثير من الاحوال أن تتزوج المرأة وهى مشبعة تماما بالافكار الخاطئة فتكون نتيجة هذه الثقافة الجنسية الخاطئة برود المرأة وعجزها عن ارضاء الزوج ولذلك فكثيراً ما تتحطم السعادة الزوجية لهذه الاسباب

وجهل الفتيات الصغيرات بمسألة ولادة الطفل يحدث أحيانا نتائج غريبة مبهمة

ففى الراس مثلا جرت العادة على تفهيم الفتيات أن المرأة تلد من سرتها . وهناك خرافات أخرى تتصل بنفس الموضوع ، فمثلا اذا حملت احدى الفلاحات فانهم يرجعون سبب ذلك الى تفكيرها فى سرتها أكثر من باقى جسمها

ولقد صادف الاطباء كثيرا من الفتيات الحاملات يعتقدن أن حملهن سببه قبلة أو ضمة من يد رجل ملتهب العاطفة . على أن البعض لايعتقد بوجود شيء من هـذا فى القرن العشرين . وأن مثل هذه الحوادث إن لم تكن مجرد خيال فهى على الاقل لاتخلو من مبالغة . ولكن معظم الاطباء يقررون العكس ، فان كثيرات ممن أفسدهن ذوو الضمائر المستهترة فلجأن لاستشارة بعض الاخصائيين كن لايعرفن أكثر من معلومات غامضة عن المسائل الجنسية

ولتوضيح ذلك نسوق اليك بعض مقتطفات من كتاب « التربية » للدكتور توتس :

« اننى أتذكر تماما أن تلميذة فى الرابعة عشر زارتنى فى عيادتى يوما وقد تأبطت كتبها وبادرتنى

بأنها ماقدمت للاستئناس برأى كطبيب اخصائى فى أمراض النساء إلا بعد عراك نفسانى شديد، وهى تشكو من قرح حمراء على بعض أعضائها . وقد هالنى عند فحصها أن وجدت خليطا من السيلان والسفلس ، هذا فوق انها تحمل جنيناً فى شهره الرابع وقد انقطع عنها الحيض منـذ ذلك الحين . ورغم هذا كله فان الفتاة لاتعرف من أمر نفسها شيئاً

« وذات مرة زارتنى فتاة فى السادسة عشر تشكو شيئاً يتحرك فى احشائها ولما كان فى أسرتها حوادث سرطان كثيرة ، فقد حضرت لاستشارتى على هذا الاعتبار . ولم يكن هذا السرطان سوى جنين فى شهره السادس ، وبالرغم من أن عائلتها كانت دائما تتباحث فى مختلف الشئون الطبية فان أحداً لم يكلف نفسه مشقة شرح الدورة الانثية أو ظواهر الحياة الجنسية »

فسواء ترك الطفل على جهالته او أعطى معلومات خاطئة فالنتيجة هى أنه يفقد ثقته بوالديه .
وبهذه المناسبة نشير الى أن المثل الذى جاء به الدكتور ليمان عن كيفية حصول أحد تلاميذه على المعلومات الجنسية كان مثلا فرديا لايصلح لان يكون أساساً

وهذه الامثلة القصيرة تنقض ما وصل اليه الدكتور ليمان : —

«حدث يوما أن تحدثنا فى كيفية مجىء الأطفال الى العالم . فقال صديقى ان الاطفال يخرجون من بطون أمهاتهم فلم أصدق هذا وسألت والدتى التى اعتراها قلق شديد لهذا السؤال وقصت على قصة ملخصها ان الله هو الذى يرسلهم وأصررت بعد هذا أن أعرف من أخبرنى عن ذلك - وهنا أحسست الخطر يهدد زميلى ارنلد فيما لو صرحت باسمه . ولكننى اضطررت فى النهاية أن أفعل وللحال قصدت والدتى إلى صديقتها السيدة « ب » فكان نصيب ارنلد أن ضرب بالعصا . وكان درساً بالغاً لى . ولم تتمكن والدتى بعد ذلك أن تكسب ثقتى القلبية »

ويحدث مثل الذى ذكرنا من اضرار فى حالة ذكر الحقائق ناقصة لان محاولة مسخ الظواهر الطبيعية الملموسة لايرجى منه أى نفع . وبجانب تلك الاضرار فان لهذه المحاولة خطر آخر فان الطفل لايقنع بالحقيقة المنتقصة بل يحاول أن يصل اليها عملياً كما حاول معرفتها نظريا

لقد نشر فرويد وكثيرون من العلماء كتابات مشوقة عن النظريات الجنسية فى الطفولة ، ومنها نتبين بوضوح ان الاطفال الذين لم يقفوا على شىء قط عن الامور الجنسية أو التى تلقوا عنها معلومات ناقصة قد تطورت نظرياتهم متجهة نحو البحث فى أصل الحياة الانسانية . ولهذه النظريات عناصر مشتركة فهم يعتقدون أن الطفل يخرج من جسد أمه سواء عن طريق السرة أو فى أثناء عملية التبرز . كما يظنون أن نصيب الرجل فى النسل عبارة عن أخذه المرأة بالقوة وبغير رضاها . ويظن معظم الاطفال فضلا عن هذا ، أن ليس هناك فرق بين المرأة والرجل من الناحية التشريحية .
وتخيلات الاطفال الجنسية لاعداد لها ولكنها لاتخرج عن أن تكون خليطا مما ذكرناه

أما طريقة تلقين الاطفال معلومات ناقصة حيث يختلط الصواب بالخطأ فتترك عندهم اعتقادا قويا وخاطئا عن النظرية الجنسية ، وتؤثر هذه الصورة المشوهة فى مستقبل الحياة الجنسية عند الطفل وهى موضوع احلامه سنوات عديدة ، اذ أن البالغ يريد أن يحقق تصورات الطفولة وأحلامها وقد تبع التحليل العلمى كثير من الأخطاء الجنسية فوجد أن منشأها هو شذوذ الاعتقادات ابان الطفولة المبكرة

* * *

وينبغى أن تنظم الثقافة الجنسية وتسير على نفس المبدأ الذى نراه فى ساحات العدل . فالقاضى يكون شديد الشعور بواجبه ومسئوليته فيما يتعلق بمستقبل الطفل وشعاره فى ذلك « الصدق — الصدق كله — ولا شىء غير الصدق » .

ويجب أن تنكشف الحقيقة أمام الطفل تدريجياً لادفعة واحدة .كما يجب أن تنظم عملية التثقيف الجنسى لتتمشى مع نمو الطفل العقلى ، فمن الغباء مثلا أن تشرح لطفل فى الثالثة من عمره اخطار الأمراض التناسلية

ومما يؤسف له أن بعض الآباء يرى فى الثقافة الجنسية شيئاً وحشياً ومؤلما الى أبعد حد . ولكن الأمر على العكس تماما فالتربية الجنسية ستنشر فى مدار عدة سنين وتكون موافقة لنمو الطفل . على أن المسألة الجنسية لايجب أن تكون موضوعا أساسيا أو فصلا محرما من فصول التربية . بل تكون جزءا من تعليم الطفل

* * *

متى ينبغى أن تبدأ الثقافة الجنسية ؟

الاجابة سهلة : فهى عند ما يبدأ الطفل أسئلته المعهودة وحالما يظهر اهتمامه بالمسائل الجنسية . فانه إذا لم ترض رغبته فى المعرفة فسيحاول ارضاء نفسه بنفسه عن طريق آخر كما بينا آنفا . واذن فالوقت الذى نبدأ فيه بتثقيف الطفل تثقيفا جنسيا يتوقف على الطفل نفسه وعلى أى حال لاينبغى أن يتأخر تثقيفه عن سنته السادسة

فاذا مضى وقت طويل قبل أن يسأل الطفل عن بعض أعضاء جسمه وعن الطريقة التى ولد بها اخوته وأخواته فانه لابد أن يكون قد أخذ معلوماته من طريق آخر

وبملاحظة هذه المعلومات المستقاة من الخارج فانه من الطريف أن نقتطف بعض إحصائيات طبعها معهد التناسليات فى برلين ، وهى ترينا بشكل قاطع أنه وان كان قد اقتنع بها معظم الناس

فان الثقافة الجنسية مازالت بعيدة من أن تطبق تطبيقا عاما

والاحصائيات التى أجريت على عدد كبير جداً أثبتت أن الثقافة الجنسية عند الأولاد تأخذ مكانها فى عقولهم بالنسبة الآتية : —

من سن ١٠ الى ١٢ ٦٠ فى المابة
من سن ٧ الى ٩ ١٥ «
من سن ١٣ الى ١٦ ٢٠ «
قبل السادسة أو بعد السادسة عشرة ٥ فى المابة

وتبدأ الثقافة الجنسية عند البنات متأخرة عن الأولاد بسنة تقريبا ، ولكن النتيجة دائما واحدة . وعلى كل حال فان ٥ فى المابة من الحالات لم يتثقفن تثقيفا جنسيا قبل سن الزواج . و٦ فى المابة يدعين انهن لم يتثقفن أى تثقيف جنسى .

ومن الاحصائيات الأكثر طرافة تلك التى عملت عن طريقة حصول الأطفال على المعلومات الجنسية لأن ١ فى المابة فقط من الحالات كان يستقى الولد معلوماته الجنسية من والديه و٧٠ فى المابة من اجابات تلاميذ المدارس كانت على الترتيب الآتى : —

من زملاء المدرسة ، والأصدقاء ورفاق اللعب والأخوة والأخوات الأكبر سنا والعاهرات والخادمة . والمربية . والوصيفة . . . الخ . .

واجاب١٧ فى المابة منهم بالاجابات الآتية : —

من قراءة الكتب والاطلاع على دائرة المعارف

و٣ فى المابة منهم عرفوا حقائق الحياة من الكتاب المقدس

و٢ « منهم عرفوها بملاحظة الحيوان

وقد كانت بعض الاجابات واضحة تماما : فواحد يقرر أنه تعلم الشئون الجنسية من رفاقه فى اللعب رغما عنه ، وثان أخذها عمن يكبرونه سنا فى أثناء الطريق ، وثالث يقول انه حضر حادث اجهاض عند ماكان فى السابعة ، وآخر يقرر أنه عند ماكان فى الثامنة رأى حالة جماع بين اثنين من زملائه

وقال اثنان انهما عرفا ذلك عند زيارتهما لمتحف بسيط متنقل فى السوق

أما عن طريقة التربية فالأسئلة المحسوسة تحتاج إلى إجابات مثلها

فالصور المأخوذة عن علمى الحيوان والنبات لعمليات الاخصاب تكون عادة قبلة أنظار التلاميذ ولكن الثقافة التى أساسها الزهور وأفراخ الدجاج هى وحدها التى سرعان ماينفتق لها ذهن الطفل

« ولدقة هذه المعلومات وسهولة الحصول عليها من والدى لم أحفل بعبث زملائى فى المدرسة ولم أعر دعابتهم التفاتاً »

أما المسألة التى بحثت كثيرا فهى امكان القيام بالتربية الجنسية فى المدرسة من عدمه، والاجابة المنطقية على هذا السؤال هو أن يتضافر الوالدان مع المدرسة فى هذا الأمر

وهناك آراء كثيرة تميل إلى الأخذ بأيسر قدر من الثقافة الجنسية فى المدرسة ويستحسن أن يعرف الأطفال بعض الشئون الجنسية من معلميهم بطريقة علمية فى أثناء الدراسة، لأن يتصيدوها فى غير دقة فى أثناء أوقات اللعب، لأن معظم الأولاد يعرفون حقائق الحياة الضرورية. ولكنها بطريقة مضطربة مختلفة. ومن المفيد حقا أن يتلقنوا المعلومات الجنسية والأمراض التناسلية بطريقة ايجابية بدل أن يتخبطوا فى شبه ظلمة من الجهل

ولقد طرح الدكتور ماكس هودان أسئلة على تلاميذ تتراوح أعمارهم بين ١٣، ١٤ سنة ونظن أنه من المفيد أن نذكر نتائجه التى نشرها ولنبدأ بالأسئلة الخاصة بالأمراض التناسلية التى سأله عنها الانسان: —

١ — هل يمكن شفاء الأمراض التناسلية ؟
٢ — أتضر الامراض التناسلية بالاخصاب ؟
٣ — هل يمكن أن تعيش المرأة إذا أزيل رحمها؟
٤ — ماهو عدم التوازن الحركى ؟
٥ — ما هو أصل رطوبة النساء؟
٦ — هل هناك علاقة بين التضخم والمبيضين ؟ وهل يؤثر تضخم المبيض على وظيفة المبيض ؟ وهل تؤثر هذه الحالة التناسلية عند المرأة ؟

« وقد اتضح فيما بعد أن سيدة من أسرة هذا التلميذ كان قد أجري عليها عملية جراحية »

٧ — ماالمقصود بالندى المصاب ؟ « وهذا يشير إلى التهاب رخو فى ثدى المرضع »

٨ — هل يمكن أن تعيش امرأة بغير رحم ؟
٩ — ماهو الحمل سفاحا ؟ وكيف يحدث ؟
١٠ — ماهو الارتخاء؟
١١ — ما معنى الفحشاء ؟

« ولبحث هذه المسائل وعلى الأخص المتعلق منها بعلم الأمراض الجنسية يحتاج الأمر إلى معرفة الاعضاء التناسلية عند المرأة والرجل وينجم عن ذلك أسئلة عديدة »

والبنات يظهرن اهتمامهن الشديد بالمسائل المتعلقة بالحيض : —

١٢ — ما معنى انقطاع الحيض ؟

١٣ — كيف يأتى الحيض ؟ وما عند الأولاد فى مقابله ؟

١٤ — هل الفتيات اللاتى يحضن فى سن ١٣ ، ١٤ صالحات للحمل ؟

١٥ — لماذا لم أحض فى هذه السن ؟

١٦ — متى تكون المرأة صالحة للحمل ؟

١٧ — كيف تحيض فتاة فى الثالثة عشر ولم تلد ؟

١٨ — ماذا يعنى بتغير الحياة ؟

١٩ — كيف يتسع عضو الأنثى لمرور الطفل ؟

٢٠ — هل تعيش المرأة بعد الاجهاض ؟

٢١ — وإذا ماتت الام قبل أن تجهض فهل يموت الجنين ؟

٢٢ — ما هى الولادة بالوساطة الآلية ؟

٢٣ — هل يموت الطفل اذا احتاج الأمر إلى عملية جراحية لاستيلاء الام ؟

٢٤ — هل يعيش المولود فى الشهر السابع ؟

٢٥ — هل يمكن الجماع بعد الولادة بأربعة أسابيع ؟

٢٦ — كيف لا تحتاج الزنجيات إلى القابلات ؟

٢٧ — كيف تحمل المرأة ؟

٢٨ — كيف يحدث الحمل ؟ « وهذا السؤال يسبب خجلا وإحراجا عند ايضاح عملية الجماع التى هى موضوع السؤال . ويجب على المدرس أن يكون حاذقا فى إرضاء السائل دون ارتباك »

٢٩ — كيف أن النساء يعقبن أطفالا ؟

٣٠ — هل يمكن للمريضات بالامراض التناسلية أن ينسلن ؟

٣١ — كيف نعلل وجود شامة فى جسم بعض الناس ؟

٣٢ — لماذا يختلف صدر المرأة عن الرجل ؟

٣٣ — لماذا ليس للرجل ثديان كالمرأة ؟

٣٤ — لم لا يلد الرجال ؟ « يحاول الطفل بهذا السؤال أن يعرف تقسيم العمل التناسلى والنسل والحمل »

٣٥ — هل للواتى لم يحملن لبن ؟ « وهذا يرتبط بسؤال سأله تلميذ من سكان المدن » هو لماذا تبدر القرة دائما ؟

٣٦ — بماذا نعلل وجود الشعر على البطن ؟

٣٧ — كيف ينمو الشعر على الرأس ؟

٣٨ — لماذا لاتنسل العاهرات ؟

« ثم اتت أسئلة كثيرة عن التوائم والولادة والاجهاض »

٣٩ — هل تصحبه نشوة ؟ « يقصد الانشراح الجنسى »

٤٠ — ماذا يحدث اذا لم يتمكن الرجل من الانفصال عن المرأة ؟ « وقد يكون سبب هذ السؤال ملاحظة بعض الحيوانات الاليفة والحشرات ، التى يبقى بعضها ملتصقا بعدالجماع ، أولسماع حديث بعض البالغين العارفين » . والانسان يلاحظ قوة الخيال التى تأخذ على الطفل كل تفكيرها إذ عند سماعه لحادث عرضاً يأخذه على علاته

ولا شك فى أن كثيرا من الاسئلة ألقيت للحصول على رأى مرضى لشئون يخفونها . وهذه الاسئلة وتنوعها تحدث حججا قوية لصالح التعليم الجنسى المدرسى. إلا أن معظم المناهج المدرسية فى كثير من البلاد تحتاج الى اصلاح تعليمى شامل فى الموضوعات الجنسية ، وبحث هذه الناحية خارج عن موضوع هذا الفصل ، ولذا قد قصرنا بحثنا على التعليم الجنسى فى حدود الاسرة

وفى الختام نقتطف ملخصا من الاخلاق عند قدماء المصريين كتبه « أميليليو » عن والد مصرى كان يلقى على ولده درساً فى التناسل منذ ثلاثين قرناً وهذا يرينا الى أى حد تختلف حضارتنا عن بعض الشعوب القديمة

« دونك مثل أمك التى حملتك عبئا ثقيلا من أجل فائدتك ، وحدك، دون أن تركن الى ، فلما وضعتك تكفلت بعبء آخر ، فارضعتك ثديها سنين ثلاثاً ، ولم ينفرها تبرزك ولم تتأفف يوما مما تفعل . وعندما عدوت تلميذا واظبت على حمل الخبز إلى معلمك ، وكذلك كانت تحضر له الجعة يوميا وأنت بدورك عندما تتزوج وتعقب طفلا عليك أن تربيه كما ربتك أمك »

اخبار اجتماعية

قوانين للعمال

ألقى وزير الصناعة والتجارة خطبة جاء فيها :

أما القوانين التى تمت فعلا فهى :

أولا — قانون تشغيل الاحداث فى الصناعة

ثانياً — القانون المنظم لتشغيل النساء فى الصناعة

ثالثاً — قانون تحديد ساعات العمل

رابعاً — قانون تعويض العمال عن اصابات العمل

هذه القوانين تنفذت فعلا والقانون الأخير آخذ سبيله إلى التنفيذ

وهناك طائفة من القوانين فرغ من بحثها ووضعها فى شكل قوانين وأرسلت إلى قسم قضايا الحكومة وهى :

أولا — قانون تنظيم العلاقات الناشئة عن عقد العمل الفردى بين صاحب العمل والعمال

ثانياً — تحديد ساعات العمل فى محال يومها

ثالثاً — قانون الاعتراف بالنقابات وتنظيمها

أما الطائفة الثالثة من القوانين فمنها بعض القوانين لم تصدر فى أغلب بلاد أوربا إلا فى السنوات الأخيرة . فانظروا كيف تسارع الحكومة إلى انصاف العامل المصرى فتضع قوانين لم يصل اليها العمال فى أوربا إلا بعد دهور ودهور وهى تنحصر الآن فى :

أولا — قانون التأمين الاجتماعى وعلى الأخص بالنسبة للأمراض الناشئة عن طبيعة الصناعة . فهناك صناعات تسبب أمراضاً خاصة تدخل فى ذلك التشريع

ثانياً — قانون التأمين الالزامى ضد حوادث العمل وهذا يترتب على تنفيذ قانون اصابة العمل

ثالثاً — قوانين الصلح والتحكم بين أصحاب العمل والعمال

فكثيراً ما يحضر إلى عمال يشكون من أصحاب الاعمال فاستمهلهم فيلحون ويدعون لهم حقوقا مهضومة وأن فى يد الوزير نيلهم تلك الحقوق والوزير الآن ليست فى يده سلطة تضطر صاحب العمل للخضوع لمصلحة العمل والعمال

وستقدم هذه التشريعات فى الدورة البرلمانية القادمة

تهمة الكفر

من القطعة التالية التي ننقلها عن أحد الكتاب في مجلة الرسالة يدرك القارىء مقدار الرجعية في البلاد واتهام الناس بالكفر لأقل سبب وأتفه عذر والكاتب ينتقد النشيد القومي . قال :

المصيبة الكبرى فى هذا النشيد أنه موضوع على مبادىء أنقره من نقل ألفاظ الألوهية والشريعة وصرفها عن الله ودين الله إلى الوطن . وهذا الحاد فظيع إن جاز فى غير مصر لم يجز أن يكون فى مصر

يعين الدين الاسلامى معنى الآخرة ومعنى اليقين بالحساب والبعث ، فيجيء صاحب هذا النشيد فيقول : غرامك يامصر . .

قصاري شعوري دنيا ودين ، وحبك آخرتي واليقين

إذن فلا آخرة ولا يقين بالآخرة

وكما يقال : تعالى الله ، وسبحانه وتعالى ، يقول صاحب النشيد : تعاليت يامصر ! !

ويقول الله فى كتابه العزيز عن جنة الآخرة : « تلك الجنة التى وعد المتقون ، فينقلها صاحب النشيد إلى مصر ويقول :

ألست الكنانة فى أرضه « وموعود جنته والنعيم »

إذن فالجنة التى وعد المتقون هى مصر ، والا فما معنى قوله : « وموعود جنته » ؟

والطامة الكبرى قوله : وصوتك يامصر وحى الاله

فمتى أضيف الوحى الى الله فقد تعين معناه وخرج من كل المعانى اللغوية التى تفيدها لفظة الوحى كالاشارة والرمز ووسوسة الشيطان ، ولايفهم أى مسلم على وجه الأرض من قولك . وحى الله ، أو وحى الاله ، أو الوحى الالهى إلا معنى واحداً . فكأن هذا النشيد موضوع عمداً لافساد عقيدة المسلمين وتشكيكهم فيها وحملهم على اعتقاد خلافها والنزول بألفاظ الألوهية والشريعة وتجرىء الناس عليها

ونحن لانصدق أبدا أن وزارة المعارف تعمل لهذا الغرض باذاعة هذا النشيد . فان لم تعلن تبرؤها منه وتأمر بابطال اذاعته وتنشر ذلك فى الصحف كلها ، فقد وجب على الازهر أن يتقدم إلى المعركة ويفهم وزارة المعارف أن الاله الذى يعبده المسلمون ليس هو الاله رع !! . وسنري

وري الشباب الاسلامى

ازدياد الجرائم

حسبنا دليلا على خطر ما صار اليه أمر الامن العام من جراء كثرة الجرائم ان البلاغات المقدمة لنيابات المحاكم الجزئية ارتفع عددها من ٣٧٩ الف بلاغ فى سنة ١٩٣٢ الى ٤٢٤ الف بلاغ فى سنة ١٩٣٣ ثم طفر الى ٥١٩ الف بلاغ فى سنة ١٩٣٤ — ٣٥

فاذا أضفنا البلاغات المقدمة للنيابات المركزية لبلغ مجموع البلاغات فى السنة الأخيرة ٨١٦ الف بلاغ ، أي أن كل عضو من أعضاء النيابة يجب أن يتصرف فى نحو ٣٦٠٠ بلاغ فى السنة !

كذلك ارتفع عدد الجنايات من ٦٩٥٧ جناية فى سنة ١٩٣٢ إلى ٧٣١٥ جناية فى سنة ١٩٣٤ الى سنه ١٩٣٥ ، وبلغت نسبة الجنايات المحفوظة فى السنة الاخيرة ٥٠ر٥ فى المابة ، وبلغت نسبة الحفظ فى جنايات القتل ٦٧ر٨ فى المابة و ٥٨ فى المابة فى الشروع فى القتل و ٥٦ فى المابة فى السرقة

وكان من نتيجة هذا ان الجنايات تقدم للمحكمة بأدلة ضعيفة ، مما أدى إلى أن محكمة الجنايات حكمت بالبراءة فى حوالى ربع ما قدم اليها من جنايات القتل ، ومعنى هذا ان التحقيق لايثبت التهمة الا على عشرين قاتلا من كل مائة قاتل ، وان ثمانين قاتلا يفلتون من العقاب ! !

وقد اقترحت لجنة المالية علاجا لهذه الحالة رفع الأعمال التافهة عن كاهل أعضاء النيابة المحققين والتوسع فى تدريس تحقيق الجنايات العملى ، وان يتفرغ للتحقيق بوليس قضائى تابع للنيابة . كما اقترحت زيادة عدد موظفى النيابات

وهذه هى الخطوة الاولى . أما الخطوة الثانية المتممة لها فانها تخصيص القضاء ليستطيع القاضى الجنائى المتخصص أن يتفرغ للعلوم الجنائية والاجتماعية التى تزيد طمأنينته الى الاحكام التى يصدرها وتعينه على تعيين النزاع بين الاتهام والدفاع وتساعده على تطبيق تقارير الخبراء بعد تقديرها وجلاء غوامضها . بعد أن دلت الاحصاءات الرسمية على أن حالة العمل الراهنة لا تسمح بتقديم القضايا الجنائية بأدلة قوية كافية لانارة السبيل أمام القاضى . وان عدد الجنايات والجنح والمخالفات التى ينظرها القضاة الجزئيون قد بلغت فى سنه واحدة نحو نصف مليون يضاف اليها ثلث مليون قضيه مدنيه

جيسيل والربا

يجهل كثيرون هذا الاسم ولكن الذين يدرسون الاقتصاديات الحديثة التى لاتلتزم قواعد النحو والمعروض يعرفونه لانه يفتح بابا للتفكير فى حل الازمة

فانه يقول أن نظرية الربا يجب أن تعكس فبدلا من أن يؤدي المدين فائدة الدائن يجب أن يؤدي الدائن هذه الفائدة . وهذا بالطبع كله غريب ولكن عند ما نفهم النظرية لا نرى أنه يخلو من العقل

ذلك أن جيسيل يقول ان جميع المنقولات التي نملكها تفقد شيئاً من قيمتها بمرور الزمن إذ هي تبلى ويأكلها السوس حتى ولو لم نستعملها بل هي أحيانا تفقد قيمتها لأن اختراعا جديدا يأخذ مكانها مهما حافظنا عليها وأحطناها بالصيانة والنظافة . ولكن النقود لا تبلى فحامل النقد يمتاز على حامل البضاعة بأن نقده لا يبلى . وتكون النتيجة أن الناس يكتنزون نقودهم فيؤخرون الحركة التجارية والنشاط الصناعي أو هم لا يقرضون إلا بفوائد عالية ولذلك يقترح جيسيل أن تفرض الحكومة ضريبة على أوراق النقد جميعها بحيث تفقد كل عام خمسة في المائة من قيمتها حتى إذا مضى عليها عشرون عاما أصبحت صفراً . وطريقة ذلك أن يبين على البنكنوت تاريخ صدوره فاذا مضى العام الأول وضع حامله عليه طوابع بقيمة ٥ في المائة من أصله . وهذه الضريبة تقابل ما يصيب المنقولات من بلى

ويرى جيسيل من وراء ذلك إلى جملة أغراض أولها العدل والمساواة بين حامل النقد وحامل البضاعة ، وثانيها تشجيع حامل النقد على شراء البضاعة حتى يروج الأخذ والعطاء . وثالثها للتشجيع على الاقراض بلا ربا

والحق ان الفكرة تستحق الدرس

جني القطن

حملت الينا الصحف الاميركية الواردة في البريد الأخير أن المستر ماك رست نزيل ممفيس « تنسي » قد امتحن في حقول ستونفيل في ولاية مسيسبي الآلة التي اخترعها لجني القطن فأسفر امتحانها عن نجاح ولكن بعض الذين شهدوا امتحانها لا يزالون يشكون في نفعها الكامل

جرى امتحانها في حقل مزروع قطناً بحضور مائتين من خبراء زراعي القطن . وهي آلة ضخمة طفقت تسير بين صفوف شجيرات القطن فتمد مردانها الفولاذية الشبيهة بالأيدي وعددها ١٣٤٤ إلى القطن فتجنى منه القطاف وتلقيه في محافظه دون أن تضر بالنبتة أو بالقطن غير الناضج فتمكنت من أن تجني في ساعة أكثر مما يستطيع أن يجنيه عامل باليد من مطلع الشمس إلى مغربها

ولم ينكر أحد من الذين شهدوا امتحان هذه الآلة مقدرتها على أن تجني القطن بسرعة . وقد رأوها تقطف في ثماني ساعات ما يقتضي لقطفه اثنين وثمانين رجلا في مثل ذلك الوقت ولكن كثيرين منهم لا يزالون يشكون في اكتمال نفعها لأن القطن الذي تجمعه لا يجيء بالنظافة المعهودة حين تجنيه الأيدي

على أن الكثيرين يخشون أن يؤدي نجاح هذه الآلة إلى الاستغناء عن الايدي العاملة فيلحق

ضررها بمئات الألوف من الزنوج الذين يشتغلون فى جنى القطن فى الولايات الجنوبية الاميركية

الكتاب المقدس

أعلنت جمعية الكتاب المقدس الانجليزية انها طبعت من الكتاب المقدس فى العام الماضى إحدى عشر مليون ونصف مليون نسخة وهذا المطبوع ليس فى لغة واحدة بل فى أكثر من مائة لغة

وفى هذه الارقام ما يطمئن ازاء موجة الالحاد التى عمت روسيا . ويدهى ان بعض هذه النسخ المطبوعة قد أستعيض بها عن نسخ قديمة قد بليت فاشتري صاحبها غيرها من النسخ الجديدة . ولكن ليس من شك أيضاً فى أن ازاء موجة الالحاد التى تعم روسيا وتخرج منها نجد موجة ذهنية أخرى هى رغبة الجماهير فى التدين واقتناء الكتب المقدسة

الثقافة الانجليزية فى مصر

نشرت الاجبشن مايل مشروع نظام لتأسيس « اتحاد انجليزى مصري » وقالت ان هذا الاتحاد سينشأ فى شهر دسمبر القادم حينما يعقد اجتماع عام يعرض عليه هذا المشروع لاقراره

ويؤخذ من هذا النظام أن مقر الاتحاد سيكون فى القاهرة وأغراضه هى ترقية العلاقات الخاصة بالطلبة وتبادل الثقافة بين مصر والامبراطورية البريطانية وتعزيز روح الصداقة بجميع الوسائل الاجتماعية والفكرية بين الانجليز والمصريين وترقية مصالحهم

ويتألف الاتحاد من المصريين الذين تعلموا فى معاهد بريطانية وتشبعوا بروح ثقافتها ومن الانكليز المقيمين فى القطر والذين يفهمون روح الشعب المصرى وعاداته ويساعدون على تنمية روح الاخلاص والمودة بين الشعبين

ويدير الاتحاد مجلس تنفيذى مؤلف من ٢٤ عضوا ويجتمع على الاقل أربع مرات فى السنة للنظر فى الحالة المالية وفى سير أعمال الاتحاد ويكون له الحق فى انتخاب لجان خصوصية وتخويلها ما يلزم من سلطة لحسن سير الاعمال . وله أن يسن أو يعدل أو يلغى التعليمات الخاصة بالاتحاد طبقا لدستوره

وللاتحاد أن يرخص بانشاء اتحادات فرعية له يكون كل منها ممثلا بعضو فى المجلس التنفيذى

وأقل مبلغ يدفعه العضو بصفة اشتراك سنوي هو ٨ جنيهات تدفع مرة واحدة أو على أربعة أقساط

وأقل مبلغ يدفعه الاتحاد الفرعى للاتحاد المركزى هو ١٢ جنيها . وكل من يكتتب بمبلغ ٥٠ جنيها دفعة واحدة يعتبر عضوا مدى الحياة . ولا يجوز للعضو المستقيل أن يرجع على الاتحاد بما دفعه

ويعقد الاتحاد المركزى اجتماعا عاما سنويا فى شهر دسمبر ويجوز عقد هذا الاجتماع بصفة استثنائية ويشترط أن تتوافر ثلاثة ارباع أصوات المجتمعين فى حالة سن القوانين أو تعديلها أو الغائها ويكون اعطاء الاصوات دائما بالاقتراع السرى

تقدم العلوم والفنون

قوميتنا الفرعونية

لولا اللغة العربيـة التي تعتبر بحق صلة الوصل بيننا وبين الامم الشرقية والعربية لبعدت شقة الخلاف بيننا وبينهم لاختلاف العوائد والمشارب والاخلاق . فالمسألة في الحقيقة يجب ألا يكون لدين أو العصبية تأثير فيها . والقومية تدعونا أن نبعث في نفوس أولادنا مصريتهم ، وان نهيء لهم أسباب تعلم تاريخهم المجيد الحافل بالجلال والعظمة كي يعلموا انه انما من مصر اشتقت مدنيات الامم الاخرى ، وانه عن مدنيـه مصر نقل الاغريق والرومان والفرس والعرب فسوف يـكون ذلك أشد سحراً في قلوب الاطفال من تعاويذ أجدادهم الاقدمين وأكبر أثرا من تمائمهم فيحفزهم ذلك الى ذروة العظمة والكمال

والآن لنرجع الي الموضوع فـكثيرا مانسمع من المتكلمين باللغة الدارجة ألفاظا لانفقه لها معنى . واذا تأملناها وجدنا أنها لاتمت بصلة الى اللغة العربية . كما أنها ليست من أصل يوناني او اندوجرماني . ولاصلة بينها وبين التركية فتحار في أمرها . ونتصور انها كلمة عربية محرفة ونحن هنا لانريد أن نتعرض لأسماء الامـكنة والبلاد التي معظم أسمائها مصرى « كدمنهور » أي بلدة « حوريس » . وهو اله مصْرى معروف . « والفيوم » أي « البحر » . « وابو صير » أي « بيت اوزريس » وكلها لاشك في مصريتها ، وانما نريد ان نذكر مانراه محشورا حشراً في لغتنا العربية الدارجة . فمثلا أغانينا الشعبية مملوءة بالالفاظ المصرية القديمة التي تمر علينا دون ان نلاحظها ويكفى للدلالة على ذلك ان مفتاح معظم اغانينا هو مصرى قديم وهو كلمة « ياليل » فليس المقصود من هذه الـكلمة نداء الليل او مناجاته لان ذلك لامحل له في مقام السرور والانشراح . بينما نرى الشعراء ينسبون الليل الي الهموم والاتراح . وقد قال امير الشعراء امرؤ القيس :

وليل كموج البحر ارخى سدوله علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

ومما لاشك فيه انه لاصلة بين الليل والعين حتى تقرن به في « ياليل ياعين » . كل ذلك مما يرد الى ذهن الباحث المدقق . والحقيقة ان أصل الـكلمة ومعناها بزيلان الالتباس والحيرة . فالـكلمة مصرية قديمة ومازالت محفوظة في اللغـة القبطية « ليلى » الى الآن ومعناها سرور او فرح

وقد وردت فى النصوص القبطية : « افرحي أيتها العذراء » « ليلى اؤدى بارتينوس »

فالمعنى فى « ياليل ياعينى » هو افرحي ياعينى . واذا ذهب احدكم الى الصعيد لسمع فى اغانى الاهلين كثيرا من الالفاظ المصرية القديمة . فمن اغانيهم : « ياهوايا مريسى . نشف لي قميصى » « ومريسى » أى قبلى . والهواء القبلي حار عادة يوافق طلب المغنى . ومن اغانيهم ايضا : « هوب هوب يازرع النوب . هوب هوب . قتلنى الشوب » وكلمة « هوب » معناها الشغل « ونوب » تعنى ذهب . « شوب » كلمة مصرية محرفة قليلا عن « ضوهب » ومعناها الحرارة . فكأن المغنى يقول : « الشغل الشغل يازرع القمح (وهو مايعنيه بالذهب) الشغل الشغل قتلتنى الحرارة » . وربما كانت هذه احدى اغنيات وقت الحصاد

والعبارات المصرية القديمة متغلغلة فى معظم نواحى تعبيراتنا فتسمع الاولاد فى الشوارع يقولون فى اوقات المطر « يامطرة رخي رخى » وكلمة « رخ » هى مصرية قديمة معناها « يغسل » وفى اصطلاحاتنا أمثال « شبار عليه » . وكلمة « شبار » قديمة ومعناها « عجائب »

وقد نسمع لفظا فنتصور أنه عربى . فاذا انعمنا النظر ظهر لنا عدم امكان ذلك لعدم موافقة المعنى . فمثلا « آه يا كاسى » يظن البعض ان كاس هذه هى كلمة « كأس » العربية . فلا يكون هناك معنى فى التوجع بالكأس . والعادة ان يتوجع الناس من رؤوسهم وقلوبهم فيقولون : « آه ياقلبي آه ياراسى » . أما تفسير ورود كلمة « كاس » هنا فبسيط وهو ان الكلمة قديمة ومعناها « عظم » فكأن القائل « آه يا كاسى » انما يقول « آه ياعظمى »

وحتى أولادنا الصغار فانهم يبدأون حياتهم واقوالهم بالكلمات المصرية القديمة فيقول الطفل « مما » عند مايريد الاكل وهي مصرية قديمة غير انها محرفة ومدغمة ومعناها « اعطنى آكل » ونقول للطفل الذى بدأ يتعلم المشى « تاتا تاتا خطى العتبة » فكلمة « تاتا » مصريه قديمة ومعناها « دس او اوطأ بقدمك » واذن يكون الشطر الثانى من الجملة موضحا للشطر الاول ومناسبا له . كذلك فى التخويف ترد كلمة « مخ » وهى مصرية قديمة . وتعنى العفريت « الجنى » وهي مكونة من كلمتين « بى » وهى أداة التعريف للفرد الذكر . و « واخ » وهو الاسم

ضربنا بعض الامثال لما هنالك فى لغتنا الدارجة من الالفاظ المصرية القديمة . ويوجد خلاف ذلك مئات ومئات من الكلمات التى نستعملها كل يوم ولا نفقه لها معنى مثال ذلك قولنا «حمرأ» فى المغالطة فى اللعب « وجاى » اذا استغثنا . وكلها مصرية قديمة . كذلك ترد علينا كلمات أو أسماء نحار فى رجعها الى أصلها مثل « بصارة » « ومدمس » . « وقرصة » للفطير الخاص بالصدقة فى الجبانة وكلها مصرية قديمة

عبد الهادى حمادة

احياء الآداب العربية

تهتم وزارة المعارف هذه الايام باحياء الآداب العربية وستنفق آلافاً من الجنيهات على طبع الكتب العربية . وهذا حسن . ولكن أحسن منه أن تنشر المؤلفات الاوربية الحديثة التى غيرت الذهن الاوربى ودفعته الى التقدم . وقد نشك نحن فى قيمة هذا التقدم ولكن قيمته فى تنازع البقاء لاتنكر . والأمة التى لاتأخذ عدتها منه تنهزم

ونهضة وزارة المعارف الحاضرة تعد رجعية بالمقابلة الى نهضة محمد على . فان مصر فى ذلك الوقت أى قبل مائة سنة فكرت فى العلوم الاوربية وبعثت البعثات لباريس لهذا الغرض . ومن الضرر الكبير أن نجعل الثقافة العربية أساساً للتفكير الحديث . فانه ليس لهذه الثقافة أية قيمة سوى القيمة التاريخية . وهى أسوأ عدة ذهنية لشاب حديث

وهذه النزعة الى احياء الثقافة العربية وتاريخ العرب وحضارة العرب وآداب العرب ولغة العرب قد كلفتنا الى الآن ألوف الجنيهات . وهى عقبة فى توجيه الامة نحو الحضارة الحديثة أى حضارة أوربا . ويكفى القارىء أن يعرف أن هذه النزعة كلفتنا فيما يسمى « المجمع اللغوى » أكثر من أربعين الف جنيه . ولم ننتفع من هذا المجمع بما يساوى أربعين مليما

ولو أننا ترجمنا من الكتب الاوربية الحديثة خمسين أو مائة كتاب بهذا المبلغ الضخم لانتشلنا البلاد من وهدة الرجعية ونهضنا بالذهن المصرى الى مستوى عال من الثقافة العلمية المفيدة

الصحة والعبقرية

مما يستغرب كثيراً أن انتشار قواعد الصحة الوقائية والقدرة على مكافحة الامراض قد زادت متوسط العمر فى الامة ولكنها لم تزد عدد المعمرين . فالناس الآن لايموتون فى الامة المتمدنة كما كانوا يموتون قبل خمسين سنة . ومعنى هذا ان الأطفال قد قلت بينهم الامراض المميتة وكذلك الشبان بل كذلك الكهول . ولكن الذين يبلغون الثمانين أو التسعين فى انجلترا أو أسوج أو ألمانيا لم يزد عددهم هذه السنين على ماكان عليه قبل خمسين سنة

وكذلك تفشت الثقافة وأصبح مستواها بين جمهور الامة أعلى مما كان قبل خمسين سنة ولكن عدد العبقريين الآن لم يزد على ما كان عليه قبل خمسين سنة حين لم تكن الثقافة متفشية الى الحد الذى بلغته فى أيامنا

فاذا فرضنا ان العبقرى فى صحة الذهن كالمعمر فى صحة الجسم أمكننا أن نقول ان كليهما لم ينتفع بالتقدم الصحى أو الثقافى فى الامم المتمدنة

الثقافة الصحية

عن الدكتور شخاشيري

تدريس علم الصحة فى المدارس لايكفى اذا كانت المعيشة فى البيت مظلمة أو على نور من العلم ضئيل . ونشر الثقافة الصحية فى البيت قد يفيد أضعاف مايفيد علم الصحة فى دور العلم . وكل طبيب مفروض عليه الالمام بما يعود على الجسم بالصحة ولكن هل يعمل كل طبيب بحسب مايفرض عليه ذلك العلم ؟ وغسل اليدين والفم قبل الاكل وبعده لازم لزوم الطعام للجسم ولكن هل تقدر أن تفيدنى عن معدل الذين يفعلون ذلك منا فى كل مئة أو ألف ؟ وهذه الظاهرة هى أول مظاهر الثقافة الصحية فى أمة تريد أن تعيش هادئة وفى جو سليم من الأمراض . وتنظيف الاسنان ظاهرة ثانية وهى كما تعلم ضرورية ليس لصحة الاسنان فحسب ولكن لصحة الجسم . والواجب أن يكون لكل تلميذ وتلميذة ورجل وامرأة فرشاة أسنان ، واذا كلفت أحصاء هذه الفرش فهل تجدها مطابقة بعددها لعدد من فى البيت من الاشخاص . ثم ان المعيشة المضطربة ظاهرة ثالثة ولكن قد يكون لنا عذر فى عدم انتظام معيشتنا ولاسيما فى هذه الايام . والنظافة يجب أن تكون مرعية فى كل ناحية من نواحى الحياة ومظهراً من مظاهرها فى الثياب التى ألبسها على جسمى والتى أظهر بها وفى الطعام الذى أتغذى به وفى الماء الذى أشربه والذى أغسل به . وفى الفراش الذى أنام عليه . وفى الكأس الذى أشرب بها . والطبق الذى آكل منه . والملعقة والشوكة وغيرذلك . وكل مايتعلق بالانسان ويحتاج اليه فى معيشته يجب أن يكون نظيفا . وظاهرة النظافة من الدلائل على الثقافة الصحية وهى تمتد بأثرها فتمنعنى من أن لا أشرب من كأس قد شرب بها غيرى ولو كان ابنى قبل أن أغسلها ولا أنشف بمنشفة ليست لى ولا أسعل ولا أعطس فى وجه من يكون يكلمنى ولا أبصق فى غير منديلى . وفى حالة المرض لا أزور أحدا ولا أزار من أحد ، فطفل يولد فى مثل هذه البيئة وينمو على تلك الاصول والمراعاة ينشأ ولاشك قويا فى الجسم والغريزة ويكون حظه من الصحة والحياة موفورين . وحظ امته من ثقافته جد كبير ، وعلى هذه الثقافة يقوم مجد الامم فأوربا وممالكها وشعوبها لم تبلغ مابلغته من التقدم والرقى فى مختلف العلوم والصناعات والاختراعات إلا بعد أن نضجت ثقافتها الصحية فى أبنائها . والشرق لايقوم من كبوته ويضارع الغرب فى العلوم والفنون الا اذا نضجت فى أبنائه هذه الثقافة الصحية وقامت أصولها على مناهل العلم ورياضه . ليس بعلوم الجغرافيا والتاريخ والهندسة واللغة والفقه وأشباه هذه العلوم التى تدرس فى مدارسنا وتحشر أصولها فى عقول أبنائنا ننهض ونقف على أقدامنا ، انما بالثقافة الصحية وبتلك العلوم جميعا نستطيع أن نسير مع قافلة الامم الراقية جنباً الى جنب فى غمار هذه الدنيا وملماتها

حديث الأدب والأدباء

الفن الجميل

من مقال للاستاذ محمد سعيد لطفي بك في الراديو

فى ظلمة الليل وأنت ترقب نجوم السماء تفكر فيما أهمك أو فيما ترجو ، تمر بك صداحة تغرد فى الفضاء فتلهم النفوس المستعدة الرضى بما قسم وتسدل على الهموم ستراً رقيقا . تلك هى قمرية الوادى تؤدى كل ليلة واجبها لاسعاد البشر والترويح عنه

هذه القمارى لها لسان ولها لهاة تتلو بها المزامير رحمة بالعباد ، وقد تعانى وهى تغرد ألم الشوق ولهيب البعاد

هذه القمارى تبعث السكينة والسلام وترسل تحنانها بشرى ورحمة وهى تذكر الفها صرعه الصياد أو صيدها خطفه الأولاد . ولكنها مهما سجعت باكية أو شاكية حركت أوتار القلوب وهزت عواطف الحنين والرجاء

ليست الطيور كلها بلابل وقمارى وبنات هديل ، فللبعض أصوات لايقرها الفن الجميل ولا تسجلها الموسيقى

كذلك الناس من أصواتها مايسحر القماري ومن تواقيعها مايخجل العندليب ، ومن الموهوبين من اذا قال ياليل ، وقف الليل فى خشوع يستمع الى نجواه ، ونثرت عليه الكواكب من أنوارها جلالا تتحلى النجوم اللامعة بجلاه

من هؤلاء الموهوبين سيد درويش طيب الله ثراه . أخرج للناس فنا جديدا هو ترجمان النهضة المصرية وصورة جميلة للأمل المرجو والمستقبل الوثاب

ماكتب الخلود الا للنوابغ وهم عصب الدولة الحساس وقلبها الخفاق ولسانها الناطق . يدفعونها الى السمو فتتبعهم كما يتبع الخيال صاحبه ويدعونها بمواهبهم الى السمو الشهى والخيال الممتع حيث يطيب العيش وتنعم الحياة . الى هؤلاء النوابغ يهدى الخلود او سمته فيبقون على مر الاجيال أساطين فن وأساتذة ثقافة . من عرف لهم قدرهم ذاق من حلو الفن ماطاب . ومن أنكر عليهم نبوغهم حرم نفسه لذة الدنيا ونعيم الحياة

ما أخطأ الناس إذ أعطوا لهؤلاء الموهوبين ماشاءوا من مال فإنهم أطباء النفوس يسقونها شرابا طهورا شافيا ويسمعونها ماتريد ، وقد يبلغونها أقصى ماتريد وفوق ماتريد . اذا جلس الموهوب على كرسى حكمته واستلم صولجان مهنته ونادى على الهموم بالزوال فزالت ، ودعا جوارى الفنون فلبت ، ورجع ترجيعه العذب الحنون . فالله أكبر الله أكبر . وما أخطأ الناس يوم يكرمون من سافر منهم الى الدار الآخرة لأن فنه باق ونبوغه محفوظ والجمال والجلال يرفرفان على تواقيعه . وما تقدمه لسيد درويش هو بعض مايجب من عرفان للجميل وتقدير للمواهب

مصر والبلاد العربية

من مقال للدكتور عبد الوهاب عزام في الرسالة

بين مصر والبلاد العربية كل مايؤلف بين الأقوام من وشائج القربى والتاريخ ، وكل مايحكم القرابة من عقائد وعواطف وآلام وآمال ، وكل مايؤكد الأخوة من حقائق ومنافع . والكلام فى هذا تبيين مالا يعوزه البيان

يذهب المصرى إلى أحد الأقطار العربية فكأنما برح بقعة فى مصر إلى أخرى ، يرى وجوها يعرفها ولا تنكره ، ويسمع من أحاديث الماضى والحاضر مايسمعه فى بلاده ، ويحدث عن الهموم والمطامح التى تنطوى عليها نفسه ويخفق بها قلبه . حيثما توجه وجد أهلا بأهل واخوانا باخوان ، وابصر من ذكر التاريخ ، ومشاهد الحاضر ، وخطط المستقبل ، مايوحى اليه أنه فى وطنه وبين قومه . وكأنه لايذهب إلى هذه البلاد إلا ليرى بعينيه ماحدثه به التاريخ وأحكمته فى نفسه النشأة والتعلم

ذهبت مرات إلى فلسطين والشام والعراق ، فكان يخيل الى أينما سرت أنى لا أخطو إلا على صفحات من التاريخ المجيد . ولا أرفع بصرى إلا الى عنوان من عناوينه فى صورة مسجد ، أو مدرسة . أو قبة حنت على عظيم من أسلافنا أبطال الاسلام والعربية . وطوفت فى العراق مدنه وقراه ، وحضره وباديته ، فكانت بغداد عندى القاهرة ، بل أجل ذكراً ، وكانت الكوفة والبصرة والموصل أعظم أثراً فى نفسى من طنطا والمنصورة وأسيوط ، وكانت مضارب شمر وبنى تميم أذهب بى فى التاريخ من مضارب القبائل المصرية . وما دمشق الجيلة الجليلة فما دخلتها إلا ازدحمت على أحداث التاريخ ورفعتني مواكبه فسارعت الى الجامع الأموي أنشد قول شوقى :

هذا الاديم كتاب لا كفاء له … رث الصحائف باق منه عنوان

ولمت بدعا فى هذا فما أحسب مصريا ذهب إلى هذه البلاد إلا شعر بما أشعر به

وليس الامر بيننا تشابك أقوام واتصال أوطان فحسب ، ولكنه الحب المؤكد ، والود الصريح ينطق على ألسنة القوم ، ويتجلى فى أساريرهم ، ويبين فى أعمالهم ، ويشهد به اهتمام القوم بكل صغيرة وكبيرة فى مصر ، وتحدثهم عن علمائها وأدبائها وأحزابها وقادتها حديث المحب العارف الخبير ، وحرصهم على قراءة ماتخرجه مصر من كتب ومجلات وجرائد . وكثيراً ماتري فى الشام والعراق من يعلم عن مصر أكثر من أبنائها . واذا تحدث هؤلاء الاخوة الكرام عن مصر أشادوا بذكرها ، وأكبروا حضارتها ، وأعظموا مآثرها على العربية والاسلام ، معترفين مقتبطين لا جاحدين ولا كارهين . وعدوا مجدها مجدهم . وعزها عزهم . وتخروا بها كما يفخرون ببلادهم

وتطلع البلاد العربية إلى مصر . وانزالها هذه المنزلة أجدى الوسائل إلى التقريب بينها . وتوحيد سننها فى التربية والتعليم . والتأليف بين أبنائها . ولم يأل اخواننا جهداً فى تودد والتقرب . فماذا يجب على مصر ؟ ليست مصر أقل شعوراً باسلامها وعربيتها . ولا أضعف تقديراً للوشائج التى تحكم بهذه البلاد أواصرها . والمصالح التى توثق بها علائقها . ولكن التاريخ السياسى فى العصر الاخير فرق بين هموم مصر وهموم أخواتها . وشغلها بغير الذى شغلوا به . فلما أفاقت قليلا الى نفسها وموقفها بين الاقطار والامم لم يلحقها شك فيما بينها وبين أخواتها من أواصر وعرى لا تقوى الحادثات على فصمها . وكلما خف عنها عبء المصائب ازدادت شعوراً وبصراً بمكانتها بين اخواتها وما يجب عليها

على مصر إن ترعى القرابة وتجزي الود بالود ، وعليها أن تضطلع بالتبعات التى تحملها إياها ثقة البلاد العربية بها ، واقامتها منها مقام الأخ الاكبر . أسمع أحيانا بعض المتحدثين بهذا يقولون إن على مصر أن تستغل هذه الثقة ، وحاشا لله أن يكون الأمر استغلالا أو اتجارا ، إنما هو أخوة ومودة وتبعات وواجبات ، وتعاون على الوقوف فى معترك الحياة ، وتآزر على بلوغ الغاية التى تلتقى عندها مقاصدنا جميعاً ، يجب على مصر أن تصلح نفسها وتكمل حضارتها ، وتعمل مايوافق مكانتها وتسن السنن الصالحة لنفسها وغيرها . يجب عليها ان تشارك فى السراء والضراء ، ولا تقف بمعزل فى مصائب البلاد العربية ومسراتها ، بل تشارك جهد اليد واللسان والقلب . وعليها ألا تألو جهدا فى امداد من يستمدها ، وبذل ماتسأل من معونة فى العلم والادب وغيرهما موحية إلى كل مصرى يذهب إلى البلاد العربية أنه يذهب ليؤدى واجبا ويعاون أخا ، وأن واجبه حيثما كان من هذه البلاد كواجبه فى مصر ، وأن مقصده الأول أن يبذل من قواه على قدر طاقته ، لايبغى جزاء ولا شكورا ، وان لم يقصر إخواننا فى الجزاء والشكر

ادبنا القديم

من مقال للاستاذ جبران مسوح فى الجريدة السوورية العربية (بونا سيرس)

لا يمكن أن يكون للقديم قيمة ما لم تكن له أفضلية على الحديث

بعض الافكار تسير فى طريق الخلود لوحدها فكل عصر يراها أمامه . البعض الاخر يجرّونها جرّا فالذى لم يمت منها اليوم سوف يموت غدا

أرجو من القارىء أن يطيل اناته دقيقة واحدة ويقرأ العبارة الآتية :

« شاعر قوله هذر . يظلم الناس والبقر . وهو الابلج الاغر . طار والصحب فى الاثر . يسألون ما الخبر . ابراق من البشر : جاوز الشمس والقمر ! واستوى ثم واستقر ؟! انها محنة القدر ، والاعاجيب تنتظر »

وانى لا استغرب الآن اذا سألنى القارىء — اذا كانت هذه الكتابة عربية .. والارجح انها عربية لانها وردت فى مجلة تصدر فى وطننا العزيز وهى قطعة من مقال كله من هذا الطراز . وبما انك قد بلعت ريقك وارتحت قليلا فمن فضلك دقيقة ثانية واقرأ قطعة ثانية منه :

« حاكم غره الملق . فتنزى به النزق . جاوز الحد وانطلق يتبع الجهل والخرق . قيل رفقا فما رفق . يشترى باطلا بحق . فهو اليوم فى الأفق . وغدا موعد النفق . ليته بر أو صدق . ليته لم يكن فسق . جل ربى الذى خلق . رزق الحكم من رزق . دبر الملك فاتسق »

انتهت والحمد لله . .

الى الآن يوجد بين كتابنا من يستعملون هذا النوع من « الأدب » وهم على الغالب لا يعرفون غيره . والمصيبة فى الأمر أن هؤلاء الأفاضل يريدون أن يكون لهم قراء وأن يطلق الجمهور عليهم اسم أدباء . واذا لم يتم لهم كل ذلك فتكون الامة كلها جاهلة والادب عديم الانصار والنبوغ ضائع بين أهله الخ

والحقيقة أنك لو جمعت عشرة الاف قارىء معهم مئة مدفع وعشر زحافات وكمية من الغازات السامة ثم اطلقت عليهم هذا المقال لكان كافيا لتفريقهم شذر مذر وجعلهم جميعا أن يولوا الادبار

وقد لا يكون غريبا وجود مثل هذا « الكاتب » حتى فى عصرنا هذا يسطر مثل هذه « الدرر » وينشرها تحت توقيعه . ولكن الغريب وجود مجلة تنشرها له . فان الصحافى الذى يتساهل الى هذا الحد فيما ينشر فى صحيفته يكون قد خدع الكاتب أو خدع قراءه أو خدع نفسه . والمصيبة واقعة فى كل حال من هذه الحالات الثلاث . أما اذا اعتقد أن هذه « الأفكار »

تستحق النشر فهناك أكبر المصائب كلها فى هذا الباب

* * *

والامراض دائما يجب أن نبحث عن أسبابها . فما هى العلة التى جعلت مثل هذا الاديب أن يقتل وقته فى صف هذه السخافات . هذا ما نريد أن نعرفه فى هذه السطور

ان هذه الطبقة من كتابنا لا يطالعون الا الادب القديم . وهم مغرمون فيه لدرجة يعتقدون انه يكفى لجعلهم ادباء وكتابا ومفكرين مثل التلميذ الذى يقطع الصف الاول والثانى فانه يعتقد انه صار فى درجة من العلم تؤهله لحل اكبر القضايا الاجتماعية

وهؤلاء الكتاب صاروا الآن خطرا كبيرا على أدبنا الحديث . اذ جعلوا جمهور القراء يعتقدون أن الادب العربى لا يصلح لهذا العصر . فانصرف الى اللغات الاجنبية من يحسنون تلك اللغات وانصرف الباقون الى كل ما جاء اليهم من الأدب الغربى عن طريق الترجمة

ويجب أن لا نلوم القراء فى ذلك فهم فى عصر يحب اهله كل شيء جديد . وقد توافرت الوسائل لذلك حتى استطاع الانسان أن يعرف قبل أن ينام كل ليلة كل ما حدث على وجه هذه الارض فى ذلك النهار . والذى يهتم الى هذا الحد بما يجرى أمامه لا تقدر أن تجعله يهتم بما وراءه

* * *

ان أدبنا القديم هو موضوع يجب أن يشبعه كبار كتابنا بحثا ليعرف الجمهور موقفه الحقيقى نحوه . ومن الحماقة أن نعتمد فى ذلك على الذين يلقون الكلام على عواهنه أو الذين يسكرون من تزيينه . فحكم هؤلاء جلب على أدبنا الويلات والمصائب فى كل الاجيال . وبعبارة أوضح نقول أن أدبنا القديم فيه كثير من الخرافات والأوهام يجب أن ننزعها عنه كما ننزع من مجرى الماء كل الاوساخ التى تعكر ذلك الماء وتقف حائلا دون سيره الطبيعى

ولا يستغرب القارىء اذا قلنا ان هذه السخافات التى يجب نزعها هى ثمانون فى المئه منه . نعم ثمانون فى المئه . وكل كبار أدبائنا يعرفون ذلك ولكن تنقصهم الجرأة لمقابلة الجمهور بهذه الحقيقة

بقى عشرون فى المئه من أدبنا القديم تستحق أن نسميها « تفكير صحيح » ولكن عشرة منها تعد صالحة لهذا العصر . لان التفكير الانسانى مهما كان هو قسمان الواحد يمشى مع كل العصور والثانى يرافق الاجيال الى حد معين ثم يتلاشى . فالثالث من أدبنا القديم هو عشرة فى المئه منه . وهى الكمية التى يدرسها ويبحث عنها المفكرون الكبار فى العالم . وبعبارة أوضح هى الادب الذى ثبت أمام الاجيال ولم تؤثر عليه الصدمات التى لقيها